

# النهاية لم تأت بعد

محمد ربيع إبراهيم شعيب

إسم الكتاب : النهاية لم تأت بعد

إسم الكاتب : محمد ربيع إبراهيم شعيب

تصميم الغلاف : عبد الله عباس

تدقيق لغوي : محمود البكري

رقم إيداع : ٢٠٢١/٦٧٣٦

ترقيم دولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٩٤-٨١-٤



شارك سطورك مع العالم

# النهاية لم تأتِ بعد

الجزء الأول

محمد ربيع إبراهيم شعيب

**The Writer Operation**

شارك سطورك مع العالم



## إهداء.

إلى من كان حلمه أن أكون ذا قدرٍ عالٍ، ولم أرَ قدرًا أعلى من  
كوني حاملًا اسمه.

## المقدمة:

نستطيع كل يوم أن نشاهد طفولتنا من خلال الكثير من المواقف، والأحداث التي تشبه ما كنا عليه خلال مرحلة الطفولة، وإذا حاولنا النظر إلى المستقبل، فإننا نتوقع سير هذه الأحداث على هذا النهج الطفولي، ولكنها بالطبع تكون بأشكال مختلفة، ولا يعلمها إلا الله.

ومن الممكن أن نقول إن حياتنا بأكملها ما هي إلا عبارة عن بدايات ليس لها نهاية، فنهاية كل مرحلة ما هي إلا بداية مرحلة جديدة، ونستطيع أيضًا القول إن حياتنا أشبه بالعرض المسرحي القائم على عدة مشاهد، كل مشهد نحاول إخراجه بأفضل طريقة ممكنة، وأفضل صورة، كذلك الحال مع سنواتك التي تعيشها، ويظل البطل الذي يلعب دور البطولة هو أنت.

جاهز لنبداً العرض هيا بنا.

«خطوة وراء خطوة»

بدأ الطفل يخطو خطوة وراء خطوة يتعلم المشي، خطوات يخطوها، وخطوات تجعله يسقط ثم ينهض من جديد، وتستمر الحياة على هذا النهج الطفولي، كلما مر بنا العمر، فما زالت الحياة عبارة عن خطوات كثيرة نخطوها ثم نسقط مرات عديدة مع الطرقات التي نحاول اجتيازها، وطرقات مليئة بالحفر لا نراها، فإما نجتازها، وإما أن تُشكّل لنا عائقًا يسبب لنا العطل خلال سيرنا في هذا الطريق، وتوجد مثل هذه العوائق في جميع المراحل العمرية التي نمر بها، وسأذكر الكثير منها خلال مرورنا في هذه الرحلة القصيرة مع تقدم العمر.

أما من تعريف الطريق الذي أتحدث عنه، فهو عبارة عن الهدف أو مجموعة الأهداف التي نسعى في هذه الطرقات لأجلها، ونهاية هذا الطريق لا يكون لها المذاق الحقيقي، إن لم يكن الطريق مليئًا بالحفر، والعوائق التي تقابلنا به، ونستخلص منها الكثير من التجارب التي نستطيع من خلالها

العمل على السير في طرقاً أخرى جديدة.

فتستمر هكذا الحياة دائماً بالاستعداد لوقعات جديدة، كلما سرنا، ولكن ما يهم هو الوصول إلى نهاية الطريق، وعدم التخلي عن الهدف.

نستكمل خطوات الطفل، فبدأ يجري سريعاً، فأيقنت أن ما يريد أن يصل إليه هو شيء كبير بالنسبة له، كالجمر، فالكثير حاول لمسه، ولا نعرف أنه حريق يتسبب لنا في الكثير من الآلام، فيجري سريعاً، ولا ينتبه إلى العوائق التي بجانبه وما يهم هو الوصول إلى شيء ما، فكذلك أيضاً نحن ما عليه الآن، كلما كان ما نريد أن نصل إليه شيئاً كبيراً بالنسبة لنا، سرنا إليه أسرع، ولا ننظر إلى العوائق التي تصادنا بهذا الطريق، بل ما يهم هو الوصول إلى الهدف، ولكن ما عليك هو الحذر من الهدف فهل يستحق أن نجتاز هذه العوائق من أجله أم أنه مجرد شيء لامع في أعيننا كالجمر.؟!

إحدى المراحل الأخرى التي يعيشها هذا الطفل، ومع كبر سنه، وازدياد حبه للحياة تأتي الفترة التي يحاول بها تذكر اسمه، وحفظه جيداً فلان بن

فلان، وإذا سألته، يجيب بشيء من التوتر، نعم، أتذكره جيدًا، شيء جميل عشناه في أحب مراحل الطفولة وهو كل ما يهمنا، ونسعى لأجله هو حفظ ما يميزنا عن الآخرين، ونحيد النظر إلى ما نمر به الآن، ونجد أن ما يميزنا عن الآخرين هو الأشياء التي نعيش من أجلها، وإلى ما نحن عليه الآن، فيأتي علينا الوقت، ونكون أشبه بهذا الطفل، فلا ندري حينها ما يميزنا عن الآخرين، أعيش دون هدف، وأقلق لذلك، وأريد أن أكسر هذه الحياة الروتينية، وإذا سألت نفسي عما يجب عليّ فعله، أو ما أسعى لأجله، أجيب بتوتر أو بشيء من الخوف، لا أدري ما أقوله سوى أنني أريد قول شيء ليس أكثر، فأظل أبحث عما يميزني عنهم. إلى أن ألقى إجابة، وأكتشف الهدف الذي أسعى لأجله، فهناك من يعيش في هذه الحياة شبه نكرة كأن ليس له وجود، وآخر من يريد أن يكسر العادات، والروتينات التقليدية، ويخلق له وجودًا.

ويمر الطفل بمرحلة أخرى جديدة عبارة عن محاولة اكتشافه للعالم الذي يراه، ولا يدري أن معظم الأشياء التي حوله تحتوي على الكثير من

المخاطر، فمحاولة لمسه للنار، والقفز من أعلى الأماكن، وإدخال شيء ما داخل مفاتيح الكهرباء، فيسارع من هو المسؤول عن أمره بإبعاده، فيحاول مجدداً بتكرار هذه الأشياء، ويُعاقب عليها وهو لا يدري لماذا يعاقب عليها وهو بكل بساطة طفل، وهذه أول تجاربه لمحاولة اكتشاف العالم الذي يحيط به، فيعاقب كثيراً، ولا يجف عن المحاولات الأخرى، ولكن لماذا.؟

ببساطة فهو بكل مرة ينتظر شيئاً مختلفاً، يريد أن تحدث نتيجة عكسية كأنه يريد أن يغير طبيعة هذه النار، ولا تحرقه، أو أنه لا يعاقب.

وليس من الصعب قياس هذا على حياتك الآن، تخيل معي أنك تسير في شارع طويل مليء بالحفر، فتارة لا تنتبه، وتقع في إحداها، وتهم ثانية بالسير، وتسقط ثانية إلى أن تتصور أنك حفظت أماكن هذه الحفر، فتريد العودة ثانية، وتسير بهذا الشارع مهيباً نفسك لهذه الحفر، ونسى ما اجتزاه من الحفر الأخرى، فنسقط بها مرة أخرى، وهذا هو تكرار الخطأ، فنعيد السير في الطريق كل مرة مهيباً لأن نجتازه، ولكن كما هي النتيجة

بكل مرة، كمثال.

الفتاة التي تغضب من حبيبها لأي سبب ما، ومن الممكن كلمة قليلة منه تجعلها تعود إليه ثانية، وهي ظانة أنها المرة ستقوم بتغييره، إلى أن تعلم أن هذا التغيير صعب، ومن الممكن أنه يكون مستحيلًا. قس على ذلك الكثير، فنكرر حينها الانسحاب سواء الرجوع عن هذا الطريق أو تخلي الفتاة عن هذا الشخص.

حاول أن تتخيل معي مرة أخرى بجانب هذا الطريق الذي سرنا فيه طرقًا أخرى.

فلماذا لا نسلك أحدهما، فالسهولة جميلة أحيان كثيرة، ويجب التخلي عن أشياء كثيرة أحيانًا حتى نقدر التغلب على مثل هذه الحفر، أو بمعنى آخر لألا نعيد الخطأ مرة أخرى؛ حتى يأتي الوقت على هذا الطفل، ولم تعد له الرغبة في أن يشاهد النار حتى، أو لربما عرفها على حقيقتها، إذًا لكي لا تندم كثيرًا، يجب معرفة بعض الأشياء حولنا على حقيقتها، وعدم العودة

إليها مرة أخرى.

- صاحبنا ما زال يكبر يوماً بعد يوم إلى أن يصل إلى مرحلة يتصور بها أنه قادر على تجاوز الطرقات وحده كمثل الذهاب إلى المدرسة، والخروج من المنزل وحيداً بمفرده، يتصور أنه ليس بحاجة إلى من حوله.

شعور جديد يرافقه وهو أنني قد كبرت بما يكفي، وأني لست صغيراً. «عد أنت سوف أذهب وحدي. أنا أعرف الطريق جيداً». «دعني أذهب. دعني أفعلها». تجارب أيضاً جديدة نحاول القيام بها ككل مرحلة عمرية تمر بها، تأتي علينا مرحلة نريد أن نكون مثل هذا الطفل، نريد أن نثبت للعالم أو لمن حولنا أننا ليس بحاجة لهم، ولكن يا صديقي ما الخطأ عندما يكون لنا دليل يرشدنا بالاتجاهات التي لربما نفقدها عند سيرنا بطرقاتنا المختلفة. فنحن لا نولّد عارفين بكل شيء حولنا بالفطرة، بل يجب أن يكون من هناك ومن هو بجانبنا؛ ليرشدنا قليلاً عما يجب فعله، فأول ما يحدث لنا من شدة، أو مشكلة، فتلقائياً نبحث عن نريد أن نشاركهم هذه المشكلة،

وليس بالضروري أن تكون مشكلة من الممكن أن يكون فرحًا، أو خبرًا مفرحًا، أو حتى شعور بالسعادة عامة. كل شخص منا لديه خمسة أشخاص على الأقل يشاركونه كل شيء بنسبة ٩٥ ٪ وإن لم تقدر على تحديدهم، فابحث عنهم، وأحسن اختياراتهم، واعلم أنهم سبب كبير مؤثر في بناء شخصك ما داموا بجانبك.

- خلاصة جميلة أوي بنكتشفها وهي إن حياتنا عبارة عن طفولة بنعيشها ونقدر نقيسها على حاضرنا، ولكن بتكون بتطور القصص خلال مراحلنا العمرية المختلفة، وبنكتشف أن ما يتغير هو السن وربما الشكل قليلًا. أشعر أنني أستطيع أن أقرر بأية مرحلة من هذا العمر أعيشها؛ طرق التفكير تتغير كثيرًا أعلم، ولكن الأحداث تسير كما بالصورة كسيناريو موحد، وثابت، والأبطال متغيرون حسب الأدوار، ولا شك أن هناك الكثير من الأشخاص يتبدلون خلال تطور هذه المراحل.

«مراهقة»

عند كل مرحلة جديدة نمر بها، نكون دائماً مُعَرَّضين لتجارب كثيرة من خلالها، نهايتها بالطبع لها التأثير في بداية ما بعدها من مراحل، وفترات أخرى جديدة.

ولا شك أن من أكثر المراحل تأثيراً في مستوى العمر هي فترة المراهقة، ومن المتضح من اسمها فهي عبارة عن إرهاق داخلي يمر به الشاب، والفتاة في هذه المرحلة من تغيرات كثيرة تحدث، كالتغيرات الجسمانية، والعقلانية، والاجتماعية، فهي مرحلة فاصلة بين الطفولة، والنضج؛ العقل فيها يكون في شتات بنسبة كبيرة، دعونا نتحدث بدقة أكثر، وعلى مجال أوسع، ومختصر.

كثير من علماء النفس تكلموا عن هذه المرحلة، والمشكلات التي يواجهها معظم المراهقين بهذا العمر طلباً للتصدي لهذه المشكلات، وتأثيرها في ما بعدها من المراحل.

تمر هذه المرحلة على ثلاثة أنواع من المراهقة، فيما أن تكون

١- مراهقة سوية يتجاوز بها المراهق هذه المرحلة كأية مرحلة عمرية عادية، فيكون ناضجًا فكريًا بشكل كافٍ، وأرى أن هذا ليس من السهل في المجتمع الحالي، ومن أسباب هذه الصعوبة هو انفتاح الكثير من المراهقين في هذا العمر على العالم الخارجي، وثقافات جديدة كثيرة، ومن عواملها هو مواقع التواصل الاجتماعي بأشكال مختلفة يكون من السهل السيطرة على تفكير المراهق حينها بطرق سلبية كثيرة.

٢- مراهقة انسحابية، وهذا النوع من المراهقة يكون انسحابيًا أي بمعنى أن المراهق يميل بصفة دائماً للانعزال عن البيئة المحيطة به، ويفضل أن يظل وحيداً لساعات طويلة بل معظم وقته، وهذا من الممكن أن يسبب له حالة نفسية سيئة لها تأثيرات سلبية في حياته القادمة؛ لذا فيتوجب على الأسرة أن تحرص على دمج المراهق مع البيئة الأسرية مجدداً، وإلا ذلك من الممكن أن يزيد من سوء حالته أكثر، فيتوجب حينها على الأسرة عرض هذا النوع على أحد الأطباء؛ تجنباً لما يحدث من نتائج سيئة أكثر تأثيراً في مستقبل هذا المراهق.

٣- المراهقة العدوانية وتُعد من أخطر أنواع المراهقة حيث يصبح المراهق عصبيًا، أية ردة فعل تزيد من عصبيته، أو تتعارض مع أفكاره ستؤدي إلى حدوث جدال حاد معه مما يسبب له آثار سلبية، ومع كثرة هذه الآثار السلبية لهذا المراهق، فمن الممكن أن تُسبب له إدمان الكثير من العادات السلبية التي ستؤثر فيه بشكل واضح جدًا، وملحوظ؛ لذا فمن الضروري أيضًا إشراف الأسرة مع هذا النوع، ولا تتهاون بأي تغيير يحدث معه.

وإن كنت تقرأ وأنت بهذا العمر، قس هذه المقارنات الثلاث على شخصيتك، وحاول التصدي لأي تغيير يحدث سلبًا من المراهقة الانسحابية، أو العدوانية.

وهناك أيضًا عدة سبل للتعامل مع المراهق لتمر كأنها مرحلة عادية، مما أشار إلى بعضها الكثير من أطباء علم النفس، ومنها:

- احترام شخصية المراهق، وتقدير مشاعره، واحترام طرق تفكيره، ومناقشة آرائه، ومقترحاته بإصغاء، وهدوء، ومدحه، عندما تكون هذه

الآراء، والمقترحات صائبة، أما إن كانت غير نافعة، أو على غير صواب، فيجب هنا المعاملة بالحسنى لتصحيح هذه الآراء لألا يكثر الجدل ولو كان يعلم أنه خطأ

- إشعار المراهق بأن الوالدين موجودان بصفة دائمة، وأنهما بجانبه لمساعدته بأي وقت، أو أية مشكلة، يجب أن يكونا الأقرب إليه من أي شخص آخر، وهذا لا يعني أنهما لا يتركانه يواجه بعضاً من المشكلات وحده؛ للاستفادة، والتعلم من أخطائه.

- بأحيان كثيرة يتصور المراهق أنه ناضج بما يكفي، ويريد اتخاذ قراراته بطريقته؛ لذا يجب عدم فرض القرارات عليه، وترك حرية اتخاذ القرارات له، كما من الضروري إعطائه دور داخل المنزل كي يشعر من خلاله بالمسؤولية، والسؤال عن رأيه إن كانت هناك مشكلة، أو شيء مهم داخل المنزل.

- إشعار المراهق بالمحبة، والحنان، والعطف، وشكره عند تقديم

المساعدة، ومشاركته في مُختلف الأنشطة. - دائماً ما يكون لبعض من المراهقين أفكار، ودوافع تكاد تكون غريبة بعض الشيء مقارنةً بالعادات، والتقاليد اليومية، فلا تجعله بحالة دفاع دائمة عن آرائه، وعدم انتقاده بشكل خاص، عندما يقوم بإبداء رأيه بقضية، أو مشكلة ما، ويتوجب حينها الاستماع إليه بشكل جيد.

- «الإنسان عدو نفسه» والعدو هذا يظهر بشكل واضح، وكبير في أوقات فراغه مما يدفع المراهق حينها بالتفكير بأشياء لا تكون سوية بشكل كافٍ، واكتساب عادات سيئة كثيرة، وكثير ما نشاهدها في المجتمع الحالي، فيجب العمل على تيسير قضاء أوقات فراغ المراهق بأشياء ممتعة، ومفيدة، وتشجيعه على الابتكار، وتنمية هواياته، وتشجيعه للقيام ببعض الأعمال التطوعية، والإسهام في بناء المجتمع، ومساعدته في تحديد أهدافه، وتنظيم أوقاته وفقاً لهذه الأهداف.

- قضاء الوالدين بعض الوقت مع المراهق، ومعاملته مثل الصديق، فعلى

والوالدين إتقان فن تدارك مشاعر المراهق، وأفكاره بطريقة غير مُباشرة،  
إشعار المراهق بالحزم، والحب في وقت واحد.

- دائماً المراهق يحب، ويفضل الاحتفاظ بمشكلاته الشخصية أيًا كانت  
من أي نوع؛ لذا من الضروري مصارحته ببعض المشكلات الشخصية؛ لكي  
يبادر هو أيضًا بالمصارحة عن مشكلاته، وهمومه، واتخاذ طريق لحل هذه  
المشكلات.

- مرة ثانية. معالجة مشكلاته، وصراعاته النفسية المختلفة

- التثقيف الجنسي للمراهق، كتوضيح خطورة ممارسة بعض الأعمال  
الجنسية المنحرفة، والمُحرمة.

«حب المراهقة»

تجربة جديدة مؤثرة في معظم الشباب خلال هذه الفترات في هذا السن وهو ما يسمى ب «حب المراهقة» يرجع هذا الحب، أو هذا الشعور لأسباب عديدة أهمها هو عدم تمييز مشاعر الشباب، أو الفتاة خلال هذه المرحلة، ينتج عنه الكثير من الأحلام الجميلة لدى الطرفين، والتخيلات العميقة غير المنتهية مع تطور المشاعر الذي لا يقف عند حد معين، فكلما الطرفين يريدان عيش تجربة جديدة مع فارس أحلامهما مليئة بالرومانسية كما كنا نرى في الأفلام القديمة، نعم حقيقتها كذلك، ولكن كثيراً ما لا نعرف هذه الحقيقة، ولا نراها، بالإضافة إلى أن حب المسلسلات، وهذه الأفلام ما هو إلا عبارة عن عمل غرضه متعة المشاهدة، ولا على متعة من يعيشون التجربة داخل هذا الفيلم، أو المسلسل، فيريد الشاب عيش هذا الفيلم، أو هذه التجربة مما يسبب إعجابه بأول فتاة يشاهدها، فيبدأ بتحول مسار تفكيره كله نحو هذه الفتاة، ويبدل معظم طاقات تفكيره بها، والتخيلات العقلية التي تظهر له بأنها بجانبه دائماً، وأيضاً الفتاة التي تحلم

بفارس الأحلام الذي سيأتي لها على حسان أبيض، أو سوبر مان الذي سينقذها من شرير القصة، أو يوتجين السارق الذي سيقع بحبها، وينقذها من الساحرة الشريرة، فراغ كبير بطريقة غير سوية يسيطر على تفكيرهما، فيتوجب العمل على تصحيح مسار هذا التفكير، ونزع هذا الفارغ؛ نرجع إلى الفتاة فترى شاباً ذا مظهر جميل، وجذاب، فتشعر بالإعجاب نحوه، وبناءً على هذا الإعجاب، يعمل العقل على التفكير، والتخيلات على أن تتصور أنه فارس أحلامها وهي لا تستطيع التفرقة بين ذلك، ويتصور الطرفان أن كل منهما يبادل الآخر هذا الحب، أو هذا الشعور، ومع كثرة التخيلات التي تحدث حينها يكونان بقمة السعادة إلى نهاية ما يتحول هذا الشعور إلى صدمة نفسية أو كشيء من الاكتئاب، عندما يتبين لهما أن الطرف الآخر لا يبادلها بذات الشعور كما يتصورون، فيبدأ مشهد الفيلم الحزين الذي كان من المقدر أن يتمتع المشاهد، ولكن البطل هنا هو ذاك الشاب، أو تلك الفتاة، ولا يوجد مشاهد هنا، ويرجع الفرق إن ما كانوا يحلمون عيشه في تلك المشاهد ما هو إلا تمثيل لا أكثر، يندفع الشاب، أو الفتاة حينها

للكثير من الضغوطات النفسية، والعقلية التي قد تدفعه لسوء التصرف، والتهور أحياناً كثيرة بسبب تأجج هذه المشاعر، وعدم استقرارها، وسيرها بشكل جيد والتي قد تنتهي بإيذاء نفسه بطرق غير صائبة، ولا تقف هذه المؤثرات السلبية على ذلك بل أيضاً انخفاض معدلات تحصيلهم العلمية بسبب عدم تركيزهم، مما يتسبب بالمشكلات الدراسية الكثيرة، وما نحوها.

- لا بد من التفكير أولاً قبل الخوض في أية علاقة جديدة، والتوقع بنتائجها، والحساب لها بطرق واقعية؛ فأيضاً هذه الآثار لا تتوقف على المراهق وحده بل لها تأثيرات كثيرة تنعكس على أسرته، والمجتمع من حوله، وقد تتمثل ب: وجود صعوبة في التعامل مع المراهق، والتأقلم، والتكيف بصورة مناسبة، بسبب حدة مزاجه، وشتات تفكيره بين الفرح، والسعادة، والاكتئاب، وشدة التعلق بالطرف الآخر، وفقدان الانسجام بشكل ملحوظ مع أفراد الأسرة، والأقارب، والآخرين، والشعور بعدم الراحة، والسعادة بينهم، وعدم القدرة على المشاركة، والتعامل معهم كفرد منهم كما أن من المترتب على ذلك أيضاً عدم القدرة على بناء علاقات، وصدقات

هادفة، ومناسبة له، أكانت داخل المدرسة أم خارجها، وضعف الأداء في

بعض الأنشطة الأخرى والتي قد تكون مع فريق.

تبدو المشكلات كثيرة، وخطيرة، ولكن الأخطر من ذلك هو عدم الإلحاق

بالمراهق، وتركه على هذه الحال، فيتوجب على الأسرة ومن حوله محاولة

تصحيح هذا الشعور لديه، والعمل على كفاءات التعامل معه التي سبق

قولها لاستعادة المراهق حياته الطبيعية مرة أخرى.

من الأقوال المؤثرة التي سمعتها وأنا في هذا العمر هو قول الدكتور «حازم

شومان» - حفظه الله - خلال مقطع صوتي قائلاً فيه عن هذا الحب إنه

كمثل النار، والعاصفة، وهذه علاقة بدايتها أنت المتحكم بها بيدك أنت،

وآخرتها ليست كذلك فاما سقوط كالسقوط في الوحل كالذي يرمي بنفسه

من على زحليقة، ولكن هنا لم يكن يعلم كيف ستكون نهايتها فاما تحسر

أو كسرة قلب أحد الشباب كان يحكي قصة عن صديقه الذي كان بمرحلة

الثانوية، فكان هذا الصديق يحب فتاة، وملتعلّقًا بها كثيرًا وليس بيديه حيلة سوى أن يطلب من أبيه أن يتقدم لخطبتها، ولكن أباه رفض؛ فقام الشاب بالانتحار، فبداية بتسلم عينك لاحدها، وتنسى أن بداية القصة غير نهايتها.

«علم النفس وحب المراهقة»

رأى علماء النفس أن حب المراهقة ما هو إلا شعور وهمي فهو مجرد شعور بالإعجاب بالطرف الآخر ينبعث من الاهتمام بالتعرف على الجنس الآخر، الذي تحركه الغريزة، والتغيرات الهرمونية التي تؤثر في تفكير المراهقين في حين هذا الوقت، بل وتجعلهم غير قادرين على تمييز مشاعرهم. كما أوضحت العديد من الأبحاث، والدراسات أن ما يرون به من مشاعر، وانجذاب نحو شخص ما، بالحقيقة ما هو إلا مجرد انعكاس من رغبات دفينية في معايشة أحداث القصة الرومانسية، وهذا أيضًا ما وضحته الدكتورة الشهيرة «سيوكا سالستروم» عالمة نفس الأطفال، والمراهقين في هانوفر، نيوها ميشاير قائلة: إن المراهقين قد يضحون إلى القدرات المثبطة؛ لأن وظائف الدماغ التنفيذية لا تزال تتطور؛ نظرًا لتجاربهم الحياتية مع الحب الرومانسي، قد يتجاهل الآباء مشاعر المراهقين، أو يقارنون الحب الرومانسي للمراهقين بالبالغين؛ لذلك يتخذ الحب في فترة المراهقة أشكالًا كثيرة، ومتعددة قد ذكرت أهمها.

كما أنني لا أنسى بعض المواقف التي حدثت بيني، وبين أصدقائي ممن وقعوا في هذا الشعور، ومنهم صديقي الذي حدثني ذات ليلة ما كان قبل الفجر تقريباً، عندما رأني متصللاً بالإنترنت، راسلاً إليّ رسالة «إزيك محمد. إنت فاضي دلوقتي»؟ قمت بالرد عليه وأترككم مع الحوار قليلاً. بخير والحمد لله. إنت بخير؟ في حاجة حصلت؟ - أنا بخير. معاك رصيد دلوقتي؟ أيوة. عاوزني أتصلك بحد أو أساعدك إزاي؟ - هديك رقم تتصل عليه دلوقتي ضروري وتجمعنا بالملكة! واتصلت له بالرقم الذي يريده، وانتظرت حتى فرغ منها، بعدها أردت أن أكلمه هاتفياً، وعندما تحدثت معه، وجدت بعض التغيرات في صوته كأنه كان يبكي. مع مرور الوقت، عرفت أنه كان يتحدث مع فتاة، وهذا ما كان سببه هو الحب، وأن هذه الفتاة التي ظلت ما تتسابق هي وصديقتها عن كمية الشباب المولوعين بها، وللأسف صديقي هذا كان من أحدهما بسبب أسلوب البراءة التي ظهرته أمامه. أنت الآن المفتاح بيدك فاما ترميه خارجاً، ولا تُسَلِّم قلبك لمثل هذا الشعور، أو تقرر الدخول، ولا تستطيع أن تتخيل كيف ستكون النتيجة هذه المرة.

«الحب في الإسلام»

إن كان هذا الحب أو هذا الشعور دون كسب أو دون قصد، ولا سعي إليه، كأن يسمع رجل بامرأة أو يراها، فيتعلق قلبه بها، فإن اتقى الله، ولم يدفعه هذا التعلق إلى طلب شيء محرم من نظره، أو مراسلة، أو مواعدة، كان مأجورًا مثابًا على صبره، وعفته، وخشيته وتقواه.

وأما إن كان هذا الحب واقعًا باختياره، وسعيه، وكسبه كحال من يتساهل في النظر إلى النساء، والحديث معهن، ومراسلتهن، وغير ذلك من أسباب الفتنة، فلا مرية في أن هذا الحب لا يبيحه الإسلام، ولو كان في النية إتمام هذا الحب بالزواج. أي أن الزواج لا يجب ما قبله من إثم هذه العلاقة.

«التعامل مع المراهقين في الإسلام»

قدمت الشريعة الإسلامية عدة سبل، وأحكام؛ لتقي من المفسد، وشورها. ومنها: - الحرص على حسن تأسيس الطفل، ونشأته على الأخلاق الحميدة بالإضافة إلى تربيته منذ أول عمره على حفظ القرآن الكريم، فإذا حال كلام الله - تعالى - على صدر الإنسان منذ صغره، يطهر القلب، وجوارحه.

- كما اهتم بتعليم الطفل الصلاة في عمر السابعة، وضربه، إذا فرض بها وهو في العاشرة، فهي تطهر قلب الشاب الناشئ عليها، وتهذب سلوكه.

- كما حرص أيضاً على التفرقة بين الأطفال في المضاجع عند بلوغهم سن العاشرة، ففي هذا السن يبدأ ميل الإناث نحو الذكور، ويبدأ ميل الذكور نحو الإناث، مما يدعو إلى إبعادهم عن المهيجات الجنسية، وإلى قطع فرص الاحتكاك التي تحرك الشهوة. - انتقاء الصحبة الصالحة للأبناء، فالصحبة الصالحة تؤدي إلى الخير، وتدعو إليه. وأذكر قول الإمام علي بن أبي طالب حيث قال: «صديقك من نهاك، وعدوك من أغراك»

- أيضًا المبادرة بتزويج الأبناء، فقد خاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشباب بالزواج، وأرشدهم به، والحكمة في ذلك إعانتهم على كف أبصارهم، وخروجهم عن المحرمات.

أتى شاب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستأذنه بالزنا، فكان من حكمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه لم ينهره، ولم يصفعه، ولم يشتمه، بل حافظ على هدوئه، وأداء مع الحوار وضع له فيه ذلك الأمر من جميع جوانبه، ثم وضع يده الشريفة على صدره، ودعا له فقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه» فكان لأسلوبه - صلى الله عليه وسلم - من هدوء في الحوار، وحنان في الإجابة، والتعامل أكبر الأثر في ذلك الشاب، وهذا كان خير دليل للحفاظ على الشاب في هذا السن. كما أنني لست داعيًا، أو شيخًا، بل إنني فقط أردت إيضاح السبل، والطرق كافة، والتي من خلالها نعمل على الحفاظ على الشباب، والفتيات في هذا العمر بالطرق الممكنة كافة.

«عاقلاً بما يكفي»!

شاهدت الكثير من المجتمعات يقيدون رشد الشاب، أو الفتاة ببلوغهم سن معين كالثامنة عشرة أو الواحد والعشرين بما يسمونه سن الرشد، وما كذلك، فأصبح الكثير من الشباب، والفتيات يقيدون تفكيرهم، وأحلامهم، وما يريدون تحقيقه حتى يبلغوا هذا السن، بناءً على نظرة المجتمع لديهم، أو القانون، وترتب على ذلك شعور أنهم ليسوا راشدين بما يكفي حتى أنهم لا يقدرّون على حمل أية مسؤولية حتى ولو كانوا يستطيعون حملها بالفعل؛ ومنهم من رأيتهم يريدون تعلم ثقافات، أو لغات جديدة، ولكنهم يأجلون هذا؛ تصورًا بأن هذا الوقت ليس وقتهم تحت مسمى لست عاقلاً بما يكفي، وليس من الضروري أن يعترفوا بذلك، فإنهم في هذا السن عامة يريدون من المجتمع أن ينظر إليهم نظرة الوحي بأنهم كبروا بما يكفي، وأنهم قادرّون على تحمل المسؤولية، في حين أن هناك البعض الآخر وهو نسبة ليست بكثيرة الآن في هذه العقود، من يقومون بإنجازات كبيرة، وكثيرة في سن صغير؛ فرأيت من تعلم القرآن الكريم، وحفظه وهو

في سن السابعة من عمره أي أنه حفظ كتابًا مكونًا من ست مائة صفحة، في حين أن هناك من يبلغ الثلاثين من عمره، ولم يقدر على حفظ جزء واحد منه، وهناك أيضًا من تعلم لغات أخرى مثل الإنجليزية، والفرنسية وهو في عمر الحادية عشرة؛ وهذا كله من الحاضر الذي نعيشه، بالإضافة إلى أحد زملائي بالصف وأنا في المرحلة الإعدادية، من كان يُعلم أحد المعلمين حل عقد المسائل الرياضية، في حين أنني كنت مبهورًا جدًّا بهذا المعلم إلى حد كبير، فقلت في نفسي كيف بهذا الطالب الذي لم يتعدَّ الثالثة عشرة من أن يقدر على حل مثل هذه العقد وحده؛ لذا فبناءً على مثل هذا أن نزوج الشاب أو الفتاة ليس مرتبطًا ببلوغهم سن معين.

مثالًا تاريخيًا أيضًا نستذكره وهو القائد «أسامة بن زيد» - رضي الله عنه - وهو أحد صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أميرًا على سرية للقاء ببعض المشركين، وكان لا يتجاوز السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره، ثم بعثه الرسول - صلى الله

عليه وسلم - قائدًا لأحد الجيوش يخرج للقاء بأكبر الجيوش حينها جيش الروم، في حين كان يوجد صحابة كثر أكبر منه مثل أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وغيرهما كثير - رضي الله عنهم - أجمعين، ولكن - صلى الله عليه وسلم - اختار هذا الشاب الصغير للخروج في هذه السرية أمام أكبر إمبراطورية حينها، وقد أتى منتصرًا على جيش بلغ ملكهم نصف الأرض.

مثالًا لنموذج تاريخي لهذا الشاب، ونضوجه، وهمته - رضي الله عنه -.

أعطِ فرصة لمغامرتك أنت أيضًا، وقرر إنجاز أشياء صغيرة كانت أو كبيرة، فلا تنظر إلى كم حجمها، ولا تنظر إلى سنك، وعمرك، مهما كان، ومهما بلغت، حاول أن تلم بما أنجزته، وما تريد أن تنجزه الآن، ولا تقيد تفكيرك، وحلمك بوقت أو بتاريخ.

وسأخبرك بالأهم من ذلك، ولكن دعني أطرح عليك سؤالًا أتعرف شيئًا عن السرقة؟ بالطبع ستقول نعم فهي جريمة يرتكبها أحد اللصوص بحق مواطن ما، أو مصلحة ما، ويُعاقب القانون من يرتكبها، وتبدأ تتجسد

بمخيلتك صورة اللص الضخم ذي القناع الأسود المُتَهَجِّم على أحد البيوت لسرقة شيء ما يقدر الانتفاع به من أشياء مختلفة! ولكن هناك الكثير من أنواع السارقين الذين لم يتجسّدوا في صور الأقنعة السوداء، بل تكون وجوههم واضحة كالشمس، وليس غرضهم سرقة المال، أو أي شيء مادي قيم.

هناك من هم سارقو الأحلام. سأخبرك عن أحدهم

«مونتي روبرتس» كان يُطلق هذا اللقب على كثير من الأشخاص، متيقناً أن هناك أناساً سيحاولون إقناعك بالتخلي عن رؤيتك، سيخبرونك بأنك مجنون، وبأنه غير الممكن تحقيق تلك الرؤية، وسيكون هناك آخرون يضحكون عليك، ويسخرون منك، ويحاولون النزول بك إلى مستواهم، فكان مونتي يطلق هذا اللقب على أمثال هؤلاء، فقد كان مونتي طالباً بالمدرسة العليا، وأعطى أحد المعلمين طلاب الصف مهمة الكتابة عما يرغبون في عمله، عندما يكبرون، فكلانا كانت لديه أحلام كثيرة يود تحقيقها،

ومع تقدم العمر بنا هناك من ضعف، وتخلي عنها، وهناك من سرقها منا، ولكن كان تصرف مونتي مختلفاً مع من حاول سرقة حلمه منه. كتب مونتي إنه يرغب في امتلاك مزرعة على مساحة هائلة من الأرض، يربي بها العديد من خيول السباقات،

فأراد المدرس سرقة هذا الحلم، وأعطاه درجة «ضعيف جداً»، وبرر ذلك بأن الدرجة تعكس رؤيته أن الهدف كان بعيداً عن الواقعية، فما من غلام فقير يعيش في البئر على ظهر شاحنة يمكن بأية حال من الأحوال أن يجمع مائلاً يكفي لشراء مزرعة على مساحة هائلة من الأرض، وشراء الخيول، وأدوات تربيتها، ومتطلباتها، وأيضاً دفع أجور العاملين في المزرعة، وعندما عرض المعلم على مونتي فرصة أخرى لإعادة كتابة ورقته من أجل الحصول على درجة أعلى كأنه يطلب منه أن يقول حلمي أن آكل ثلاث وجبات في يومي، وأنام، وأستيقظ ولا غير ذلك، وكأنه يريد أن يقول أريد العيش مثل

الأنعام، أو لا وجود لي، فقال له مونتي: (احتفظ أنت بالدرجة، وسأحتفظ

أنا بحلمي)؛ وظل مونتي محتفظاً بحلمه إلى أنه أصبح

اليوم مالك لمزرعة مقامة على مساحات شاسعة من الأرض في كاليفورنيا،

يربي بها خيول السباق، ويدرب بها المئات من مربّي الخيول

«هذا فقط لأنه لم يدع أحداً يسرق منه حلمه»

«من خلف الكواليس»

نحدث قليلاً من خلف الكواليس بعيداً عن دور البطولة الذي نعرضه أمام الشاشة لمتعة المشاهد خلال مشاهد جديدة مطلوب عرضها بأفضل صورة، وأنا أجلس مكاني أحاول مشاهدة العروض السابقة، وأنظر من خلف الكواليس لأجد أمامي عرض مشهد الطفولة ثم مشهد المراهقة ثم بداية العشرينات وما بين هذه المراحل.

العشرينات والمفترض أنها أجمل المراحل التي يعيشها البطل خلال السيناريو، ولكنني أشعر أنها تمر غير ذلك!

أجلس مفردى كثيراً، وأتوق إلى طفولتي، وألغابي، وحواديت أُمِّي؛ نعم معظمنا كذلك؛ كلما كبرنا، نظل عالقين بذكريات الطفولة، وأحداثها المتكررة، نعم، كبرنا، ولكن نظراتنا تظل كما هي طفولية.

أريد أن يعود الزمن قليلاً، عندما كان أقصى ما يهمني هو تعلم الرسم، والتلوين. إدخال كشكول الرسم ذي الحجم الكبير داخل حقيبتني دون

تطبيقه حتى لا تتعقد رسوماتي التي بداخله، أو أقصى ما كان يسعدني وهو غياب معلم عن شرح إحدى المواد لتبديلها بحصة فارغة،

أو حتى لأكلاتي المفضلة، فالآن أكتفي بأي شيء لا شيء معين كالسابق، فلا توجد المتعة التي كنا نعيشها حينها! يا لهذا الهراء الذي أنا عليه الآن. هل هذا ما كنت أريد أن أكبر لأجله؟

أصبح أقصى طموحي هو انتظار الوقت الذي أجلس فيه بمفردي في غرفتي الصغيرة بعيداً عن ضجيج العالم من حولي، وما يسعني هو إفراغ طاقتي في القراءة، وكتابة ما أشعر به، بجانب فنجان القهوة البارد. حينها أدركت أن هذا أكثر شيء يمكنك فعله؛ لتصل إلى أعلى قمة من الراحة النفسية.

علاقتي بمن حولي أصبحت عبارة عن رسالة خلال تطبيق الواتس آب، فلا أريد التحدث مع أحد عكس ما كان يحدث سابقاً، فالأشخاص الذين كانت مدة المكالمة تتراوح معهم لأكثر من ساعة تحولت إلى ملف المكالمات التي لم يتم الرد عليها. آسف كنت مشغولاً قليلاً. كان هناك ضجيج من

حولي لم أستطع الرد. لم أسمع صوت الهاتف، كثير من الحجج الفارغة؛ كما أن الجدلات الكثيرة أصبحت عبارة عن حاضر، نعم، أنت مُحِق وهو كذلك، بريق الأشياء من حولي يتحول إلى صداً قليلاً فقليلاً، كلما مر الوقت، شعرت كأنني عشت عمرًا طويلًا وأنا لم أتعدَ منتصف العشرينات، كلما رأيت شريط الأحداث يتكرر مع الأجيال التي من حولي، وأشخاص كبرت معهم، ولكن أجلمهم قد قُضي، فما الذي أفعله؟! أريد أن أرفع الستار، وأخرج على المسرح، وأخلق بداية جديدة، ولكنني ما زلت أخشى، وأنتظر خلف الكواليس بداخل غرفتي الصغيرة.

يوم وراء يوم مجددًا إلى أن علمت أن لا جدوى من جلوسي وحدي منتظرًا شيئًا ما يحدث، لا أعلم ما هو؛ فالحياة لم تُخلق لذلك؛ قررت أن أخرج، وأتقبل أحداث السيناريو بدور المسؤوليات الجديدة، والتفكير عشرات المرات بما يجب فعله؛ والطفولة ما زالت عالقة معي لم أتخل عنها، فما زلت أعيشها بداخلي؛ والخلاصة التي تحدثت عنها مسبقًا ما زالت موجودة، وما يتغير سوى تاريخ سني في الهوية، والشكل قليلًا، وسيناريو الحوار،

وبعض الأشخاص الذين يتبدلون أدوارهم المختلفة، وأظن أنا بطل القصة الذي لم يتغير، والذي سيظهر على الشاشة لعرض هذا المشهد أنظر إليّ من خلف الكواليس أريد أن أراني من بعيد؛ أريد شبيهاً لي يمثل لي هذا الدور، وأصفق له في نهاية العرض.

ما زلت أريد أبي أن يأتي إليّ، ويخلصني من المخاوف التي تتراكم عليّ مع تراكم السن واحدة فواحدة ثم واحدة تلو الأخرى، مثلما كان يحدث في طفولتي.

ذكريات الطفولة هي من أجمل الأشياء التي تحدث، عندما نتذكرها، ولكنها تأتي في بعض الأحيان، وتشعر كأنها كالدئب الذي يتربص على فريسته؛ لكي يفتك بها في أية لحظة.

«بداية عرض جديد»

قررت الخروج من خلف الكواليس، ورفع الستار لبداية عرض جديد، ولكن هذه المرة لن أتحدث عن نفسي كثيرًا، بل سأخذ أهم العروض التي شاهدها فيمن هم حولي بمرور هذا الوقت. رأيت الكثير من بحالة ما خلف الكواليس، والخروج لبداية عرض جديد ومن كانوا عالقين بهذا المشهد؛ عالقين بين طفولة، وبين شخص يريد مواجهة عالم كبير مثل الذي نعيش فيه الآن؛ فهناك من تزوج، وأسس علاقات جديدة، ومن تخرج في الجامعة، وأسس مشروعه الخاص، وهناك من سافر، وهاجر ومن ينتقل من مكان إلى آخر فيتولد لنا شعور أننا متأخرون جدًا بهذه الحياة، وأنها تمر سريعًا وما زلنا نقف بمكان ما ولا نتحرك، فنخشى أننا إذا ظللنا نعيش على ذلك، سنتحطم مع تقدم العمر؛ وهناك أيضًا من زالوا عالقين بأشياء ما كنا نقوم بفعلها، والآن لا يمكننا طرح مسمى على هذه الأشياء سوى أنها عبارة عن شيء من التفاهات ليس أكثر.

استوقفني قول ديستوفسكي حينما قال: (حين أنظر إلى الماضي، إلى السنوات التي أضعتها عبثاً، وخطأً، ينزف قلبي أملاً، الحياة هبة، كل دقيقة فيها يمكن أن تكون حياة أبدية من السعادة! فقط لو يعرف الأحياء هذا الآن، ستتغير حياتي. الآن سأبدأ من جديد.

حاولت التعلم ممن هم سبقوني، والاستفادة من تجاربهم، وخوض تجارب جديدة خاصة بي.

ويمكنك أيضاً قياس هذه المرحلة على أي عمر آخر وليس فقط مختصاً بالعشرينات.

خلاصة هذه التجارب متعلقة بـ ١- الراحة النفسية: ليس هناك شيء يستحق أن تسلب راحتك النفسية لأجله؛ فمرحلة العشرينات عبارة عن استنزاف أعصاب بأشياء ما جديدة نراها حولنا نعطي لها أكثر من اللازم؛ فحافظ دائماً على هدوئك الداخلي، واتزانك مع ذاتك، وأكثر الأشياء التي من الممكن أن تسلب هذا هو الإسراع، والمبادرة بالوقوع في الحب، فحينها

نفسك لم تكن نفسك ملكك بل ملك من تحب، فحينها سلامًا لما أردته،  
وسلامًا على أهدافك التي أردتها؛ فهذا الوقت لا يحتاج إلى الزواج، والوقوع  
في الحب بقدر ما تريد تحقيقه من أهداف أخرى، كالتخرج، والعمل بوظيفة  
جديدة.

٢- الشغف، والطموح هما أساس بنائك في ذاك الوقت، كما قال «جبران  
خليل جبران»: (ليس قيمة الإنسان بما يبلغه، ولكن بما يتوقع البلوغ إليه).

٣- حاول أن تعمل بالمجال الذي تحبه، فهذا سيجلب لك الكثير من  
السعادة، وإذا عملت بمجال لا تحبه، فعليك ادخار أموال هذا العمل،  
وتوفيرها، وتقوم باستغلالها باستثمار شيء ما تحبه.

٤- العمل على تأسيس صداقات كثيرة، وتكوينها في هذا العمر، فهذا  
سيفيدك كثيرًا مع تقدم العمر، وحافظ على أن تكون نفوسهم طيبة، فكما  
تعلم أن معظمهم من سيقون معك، ولا تقع في خطأ تصور أن العلاقات  
تدوم للأبد، فدائمًا كن على استعداد أن الأشخاص يتبدلون كما بالسناريو.

٥- أغلب مشاعرنا تكون مبالغاً بها كثيراً هذا العمر سواء إيجابياً أو سلبياً؛

لذا لتجنب أي خطأ يجب التفكير بحذر، وعمق قبل اتخاذ أي قرار.

٦- هناك من يرون أن الشهادة الجامعية هي مصدر الأموال إلى أن يتغير

هذا الاعتقاد بعد التخرج، فالشهادة الجامعية ليست كافية، فعليك

المحاولة للتعلم بالكثير من المجالات الأخرى، واكتساب خبرات، ومهارات

جديدة، وتذكر هذا إن لم تكن مفيداً لنفسك، فلن تكون مفيداً للعالم

من حولك.

٧- من الممكن الحصول على الكثير من الأشياء الممتعة كالأنشطة الاجتماعية

المختلفة، والألعاب الرياضية، والقيام بأشياء جديدة تحبها، وليست

السعادة قائمة على الأموال، وشراء الأشياء باهظة الثمن.

٨- المشكلات، والصراعات، والخلافات التي تمر بها لا أحد يواجهها سوى

أنت، فلا تجعل من نظرات وطرق تفكير من حولك عائقاً لهذه المشكلات،

واعمل على حلها بالتفكير الهادئ، وأسلوب متزن.

٩- حب التباهي، والشهرة، والظهور على الشاشة متعب جدًا إلى حد من الممكن أن يتسبب لك بمشكلات نفسية، وجسدية، فحاول فقط العمل على تطوير ذاتك أولاً، واستثمار وقت فراغك بقراءة الكتب المختلفة، ولا تقتصر على الروايات، والكتب الفلسفية التي تريد بها تقوية شخصيتك بل بقراءة الكثير من العلوم الأخرى كعلم الكيمياء، والفيزياء، والبيولوجيا، ومختلف ذلك، فهذا من الممكن أن يغير نظراتك عن كثير من الأشياء حولك.

إلى أن نصل إلى هنا يا صديقي فهذا ما حصلت عليه عند رفعي للستار حينها، هذا ما رأيت عليه من هم في بداية الثلاثينات بنسبة كبيرة تصل إلى ٩٠ تسعين بالمائة.

ولا شك في أن هذه التجارب كانت معظمها كافية للعمل على أداء أفضل، وحذف مشاهد كثيرة خلال السيناريو، وإضافة عروض أكثر أهمية لهذه المرحلة؛ وبخلال بداية العشرينات، كنت أرى أنها أجمل الفترات، وأنها

لن تُعَوِّض، وأن الحياة، والمتعة متوقفة عند الدخول بالثلاثينات، وأن لذة الشباب لن تعد موجودة! فقررت الجلوس أكثر مع مَنْ هم في سن الثلاثينات؛ لأعرف أكثر كيف يكون تفكيرهم، وطرق استمتاعهم في هذا العمر وكيف يكون أسلوبهم بعد أن تحدثنا عن العشرينات أحد الأشخاص الذين تعرفت عليهم في فترة الثلاثينات، وقررت أن أذكر بعضاً من مشاهد قصته هنا لما لقيت من أشياء مختلفة حدثت، وما زالت تحدث خلال عرض السيناريو الخاص به هو خالد الذي يبلغ من العمر قرابة ثلاثة وثلاثين عاماً، والذي رأيت ذات يوم يكتب في مذكرته «عندما يفقد العالم بصره، عندما يفقد العالم بصره» سألته بدهشة، وابتسامة مستنكرة ماذا خالد؟ أتريد جعل العالم لا يبصر؟ أجنبي بثقة: «نعم» قلت له بأسلوب ضحك نعم نعم تريدنا أن نسير ونحن نتصادم ببعضنا البعض كيف ستسير الحياة والعالم فاقد أعظم نعمة وهي البصر؟ أرى أنك جننت؟ كنت أضحك كثيراً وهو يتحدث بجدية إلى أن قلت له ولماذا لا تبدأ أنت وتحاول أن تمشي وأنت مغلق عينيك أن تحاول أن تكون أعمى قلت له: هذا لا أدري ما

السبب الذي يجعل شخصًا مثل خالد يكتب هذه الكلمات وما هي وجهة

نظره القائمة على هذا الاعتقاد ولماذا يتمنى أن يجعل العالم لا يبصر؟

حقيقة لم أكن أعلمها وهي أن خالد فقد بصره خلال حادث، ودام فقدان

بصره لفترة تجاوزت مدتها عامًا.

ولكن هو جابوب عن سؤالي قائلاً حاول أن تتخيل أنك أعمى، أنك فقدت

بصرك لأي سبب حاليًا وأنت جالس مكانك ما الذي سيتغير بحياتك وما

ممکن تغيره؟

حوارنا في هذا اليوم كان قائمًا على أسئلة استنكارية لا أحد يفهم الآخر

أو ربما أنا لم أفهمه، فأنا لم أعرف ماذا حدث معه فقد أعرفه منذ فترة

قصيرة، كلما شعرت أنني أعرف عنه الكثير، تفاجأت بأنه شيء غامض سألني

سؤالًا، ورأيت الكثير من الإجابات المتأججة تدور حول رأسي ماذا سيحدث

بالفعل إذا فقدت بصري إنني صرت أعمى هل حياتي ستصبح أفضل أم

أنها ستتحول إلى جحيم، وظلام حالك؟ أريدك الآن أن تتوقف عن القراءة

قليلاً، وتتخيل قليلاً ماذا سيحدث وما سيتغير إذا أصبحت لم تر شيئاً لفترة

معينة؟

ما زلت أحاول تجميع إجابتي عن هذا السؤال! بريق الأشياء من حولي سيتحول لمجرد صداً كبير، أشياء كثيرة كنت أراها كبيرة، ربما لن يبقى لها وجود. السيارة التي انبهرت بشكلها والتي كادت عيني أن تصاب بالعمى بالفعل بسبب اندهاشي بها، وقتها لن تبقى لها قيمة.

ساعة اليد السويسرية التي تمنيت أن أمتلكها، عندما رأيتها على أحد مواقع التواصل الاجتماعي؛ حينها لن تكون لها قيمة. البيت الكبير والتلفون الذي يتعدى ثمنه الثلاثين ألف ما كل هذا؟ أراها لا يساويان شيئاً الحقد، والكره، والعداوة التي أمتلكها للأشخاص الذين تسببوا بأذيتي ذات يوم، سيتملئ مكانها في قلبي بالعفو، والمصافحة، سأسامحهم وقتها، فأنا الآن لا أريد المعافرة، التأجج الذي كنت عليه عندما كنت مبصراً.

أصبحت أهتم بأكثر الأشياء قيمة، فقدت بصري، ولكنني أصبحت أرى

الأشياء على حقيقتها وبأكثر وضوح.!

رجعت، وتحدثت مع خالد مرة ثانية، فنظرت إليه، واقتربت منه قليلاً  
قائلًا: عندما يفقد العالم بصره، ضحكنا قليلاً، وأردت أن أعرف كيف كانت  
القصة معه.

هو الشاب الذي كان حلمه أن يصبح أحد المشاهير، ولا يهتم بشيء في  
الحياة سوى سيارة والده، والسهر في النوادي بجانب الفتيات، وإدمانه  
للمخدرات بجانب فشله دراسيًا، كانت حياته دون معنى لا يوجد بها أي  
شيء صالح فعل ما لا يمكن تصوره.!

إلى أنه مر بامتحان كالضربة على الرأس، أو أنه سقط في حفرة في الطريق  
تسببت له في أن تكون عائقًا يمنعه الاستمرار بهذا الطريق، وتغيير مساره  
وهو أن أصبح كفيلاً عند تناوله جرعة زائدة كادت أن تتسبب له بالموت،  
ولكنه أفاق، وبدأ يشاهد العالم على طبيعته قرر أن يكون أكثر احترامًا،  
وأنه سيختار الطريق مجددًا السيارة، والقصر الكبير، والمظهر الجيد،

والشهرة، إلخ لا جدوى لها. الذهب الذي يلمع أمامك، إذا أغلقت عينك قليلاً، ستجده عبارة عن صدأ ما قيمته وأنت لا تراه فلا تخذعك المظاهر.

الحياة عاقبت خالد بضربة مؤقتة مجرد ضربة وقدر على أنه يفوق ثانية، إنما هناك الكثير كانت الضربة التي أوقعت بهم قاضية أخذت أرواحهم، سل نفسك الآن ما الذي تريده والأهم من ذلك لماذا أريده ولا أريد غيره وما سيفيدني مستقبلاً؟ وكيف يمكنك الوصول إليه؟ تذكر دائماً أن العائق ليس في الهدف بحجم إن كان كبيراً أم صغيراً بل في طرق الوصول إليه.

أتذكر عندما قلت لك إن الحياة مستمرة دائماً بالاستعداد لوقعات متتالية، كلما سرنا في طرق نهايتها الوصول إلى الهدف الذي نسعى لأجله!

أتذكر ذلك الطفل الذي كان يجري سريعاً من قبل، ولا ينتبه لما حوله من عوائق، وما يهمه هو الوصول إلى هدفه!

إذا أردت أن تذهب إلى مكان ما وهناك عدة طرق تستطيع من خلالها أن تصل إلى حيثما تريد. برأيك أي طريق من الممكن أن تختاره؟ بالطبع

ستختار أسهل طريق تصل من خلاله إلى هذا المكان.

أتعرف شيئاً عن السجين المشهور المحكوم عليه بالإعدام خلال فترة

حكم الإمبراطور لويس الرابع عشر؟

هيا لتعرف عليه.

«أراك ما زلت هنا»!

أحد سجناء لويس الرابع عشر والذي كان محكوم عليه بالإعدام، ومسجوناً في جناح قلعة مُطلّة على أحد الجبال، ولم يبقَ على موعد إعدامه سوى ليلة واحدة، ويروى عن لويس الرابع عشر ابتكاره لحيل، وتصرفات غريبة، وفي تلك الليلة، فوجئ السجين وهو في أشد حالات اليأس بباب الزنزانة يفتح وإذ بلويس يدخل عليه مع حرسه ليقول له: أعرف أن موعد إعدامك غداً. ولكنني سأعطيك فرصة، إن نجحت في استغلالها، فبإمكانك أن تنجو، هناك مَخْرَج واحد موجود في جناحك دون حراسة، إن تمكنت من العثور عليه، يمكنك عن طريقه الخروج، وإن لم تتمكن، فإن الحراس سيأتون غداً مع شروق الشمس لأخذك؛ لتنفيذ حكم الإعدام، أرجو أن تكون محظوظاً بما فيه الكفاية؛ لتعرف هذا المَخْرَج! بعد أن تأكد السجين من جدية الإمبراطور، وأنه لا يقول ذلك للسخرية منه، غادر حراس الزنزانة مع الإمبراطور بعد أن فكوا سلسله، وتركوا السجين لكي لا يضيع عليه الوقت؛ جلس السجين مذهولاً، فهو يعرف أن الإمبراطور صادق، ويعرف عن لجوئه لمثل هذه الابتكارات في قضايا، وحالات مماثلة، ولم يكن لديه

خيار سوى أنه قرر أن لن يخسر من المحاولة، وبدأت المحاولات، وبدأ يفتش في الجناح الذي سُجِن فيه، والذي يحتوي على عدة غرف، وزوايا.

ولاح له الأمل، عندما اكتشف غطاء فتحة مغطاة بسجادة بالية على الأرض، وما إن فتحها حتى وجدها تؤدي إلى سلم ينزل إلى سرداب سفلي، ويليه درج آخر يصعد مرة أخرى، وبعده درج آخر يؤدي إلى درج آخر، وظل يصعد إلى أن بدأ يشعر بتسلل نسيم الهواء الخارجي مما بث في نفسه الأمل، ولكن الدرج لم ينتهِ! واستمر يصعد ويصعد ويصعد إلى أن وجد نفسه في النهاية وصل إلى برج القلعة الشاهق، والأرض لا يكاد يشاهدها، وبقى متحيراً لفترة طويلة، مع شعوره باقتراب أجله بحكم الإعدام!

ولم يجد أن هناك فرصة ليستفيد منها للهرب، وعاد أدراجه حزيناً، وألقى نفسه في أول بقعة يصل إليها في جناحه متحيراً، ولكنه كان يثق أن الإمبراطور لا يخدعه.

وبينما هو مُلقى على الأرض مهموم ومُنهَك، ويضرب بقدمه الحائط

غاضبًا، وإذا به يشعر بأن الحجر الذي يضع عليه قدمه يتزحزح. «أمل جديد ينبعث له يشعر من خلاله أن ما زالت له الفرصة متاحة لينجو من حكم الإعدام». فقفز، وبدأ يختبر الحجر؛ فوجد أنه بالإمكان تحريكه، وما إن أزاحه، وإذا به يجد سردابًا ضيقًا لا يكاد يتسع للزحف،

فبدأ يزحف، وكلما زحف أكثر، بدأ يسمع صوت خرير مياه، وأحس بالأمل لعلمه أن القلعة تطل على نهر، ولكنه وجد نافذة مغلقة بالحديد أمكنه أن يشاهد النهر من خلالها

واستمرت محاولته بالزحف إلى أن وجد أن هذا السرداب ينتهي بنهاية مميتة مغلقة. وعاد يختبر كل حجر، وبقعة فيه، ربما كان فيه مفتاح حجر آخر، لكن كل محاولاته ضاعت سُدى، والليل يمضي. استمر يحاول، ويفتش، وفي كل مرة، يكتشف أملًا جديدًا، فمرة ينتهي إلى نافذة حديدية، ومرة إلى سرداب طويل ذي تعرجات لا نهاية لها ليجد السرداب أعاده إلى الزنزانة نفسها! وظل هذا طوال الليل يلهث في محاولاته، وبوادر أمل تلوح له مرة

هنا، ومرة هناك، وجميعها توحى له بالأمل في أول الأمر؛ لكنها في النهاية

تبوء بالفشل، وتزيد من تحطمه!

وأخيراً انقضت ليلة السجين كلها، ولاح له من خلال النافذة الشمس

تطلع وهو مُلقى على أرضية السجن في غاية الإنهاك محطم الأمل

من محاولاته اليائسة، وأيقن أن مهلته انتهت، وأنه فشل في استغلال

الفرصة!.

فوجد وجه الإمبراطور يطل عليه من الباب ويقول له: «أراك ما زلت

هنا! قال له السجين: كنت أتوقع أنك صادق معي أيها الإمبراطور فرد

عليه الإمبراطور: لقد كنت صادقاً معك فسأله السجين لم أترك بقعة

في الجناح لم أحاول فيها. فأين المخرج الذي قلت لي عنه؟ فقال له

الإمبراطور: لقد كان باب الزنزانة مفتوحاً، وغير مُغلق!

كما أنه كان آخذاً من حوله جميع الحراس، ولكن السجين لم يفكر

بالأمر!

قد نضع أنفسنا في الكثير من الطرق المملئة بالصعوبات، والعوائق،  
وتعقيد الأمور، ولا ننظر إلى بساطة ما جانب هذه الطرق. الإنجازات  
الكبيرة جميعها تكمن في الأشياء الصغيرة، وما علينا فقط سوى النظر إليها  
بوضوح.

«عش بروحك»

بعد الخروج من خلف الكواليس، ومقابلتي لخالد الذي كان من المفترض أن يكون حوارنا قائماً حول عقد مرحلة الثلاثينات، ولكنه حينها علمني درساً آخر لا شك وأنه غَيَّرَ لديّ الكثير من أفكار، وتصحيح مسارات جديدة لأهدافي. قابلته مجدداً، وتحدثنا كثيراً عن نظرة من هم في العشرينات حول عقد الثلاثينات، فكنت أرى الكثير من هم في منتصف العشرينات ينتابهم شيء من الخوف، والتوتر من القادم. خوف الخوض في الثلاثينات، وتعجب غريب ودهش مما رأيته كأن الحياة متوقفة على هذا السن، وأن مرحلة الشباب تنتهي مع سن الثلاثين، يشعرون أنهم قد كبروا، وأن الاستمتاع بالشباب قد انتهى، ولا يدرون أن هذه أفضل مرحلة للاستمتاع بالفترة الشبابية. ومنهم من يرى أنها ستكون أكثر مرحلة استقراراً، وأنهم سيقدرون على تحقيق المزيد من التقدم في حياتهم المهنية باعتمادهم أن أطفالهم قد أصبحوا أكثر اعتماداً على أنفسهم، ولا يحتاجون إلى الرعاية الصحية على مدار الأيام، والأسابيع مما يستنزف طاقات، ومجهود.

ملخص حديثي مع خالد، وبعض من الأشخاص الذين كسروا حاجز الثلاثين عامًا. بعض الفتيات الذين يمر بهن الثلاثون دون زواج، تتصورن أنهن مرتكبات خطيئة، وبالنسبة للبعض الآخر، فهذه أفضل طريقة للاستمتاع بالعيش، والقيام بما هو ممتع من أعمال، وأنشطة مختلفة، ومنها استكمال دراستهم، وتحضير رسالة الدكتوراه، وغير ذلك، كما أن نظرتهم حينها لفارس الأحلام الجذاب تكون قد انتهت، وأصبحت أكثر عقلانية، فهي باتت لا تنظر إلى العلاقات المسلمية، والعلاقات المؤقتة، بل تريد الاستقرار، والعمل بأساليب أكثر واقعية.

معظم من تحدثت معهم بشأن الثلاثين، وجدتهم أكثر متعة، واستقرارًا مما كانوا عليه بالعشرينات، فأصبحوا ناضجين بما يكفي، فقد سقطت لديهم الكثير من الأفكار غير الرزينة والتي لا جدوى منها، فمن كان يظل هدفه السير وراء الفتيات، وقيام الصداقات معهن، وقصص الحب، فقد انتهت لديهم هذه الفكرة؛ فتطور الأفكار، والتعلم من تجاربهم خلال عقدهم السابق، وتطبيقها مع حياتهم الوظيفية، والاجتماعية، وبشتى

المجالات الأخرى، يجعلهم يحظون بالمزيد من الاحترام، وهذه قد تكون من أكثر الأسباب التي تقوم عليها السعادة هذا الوقت؛

إحدى طرق التفكير المختلفة حينها هي عدم تفسيرك لكل شيء يحدث حولك، فالكثير مع تقدم العمر تقل نظرتهم لأشياء كثيرة منها عدم الالتفات لمن حولك بالنسبة لآرائهم حول شخصيتك، وأيضاً آرائهم السلبية نحو تصرفاتك، وأفعالك المختلفة، فمثل هذه الأشياء كانت أحد الأسباب الرئيسة في التوتر، والقلق، وتفكيرك الدائم حول كيفية تبرير تصرفاتك، وأفكارك خلال العشرينات، ولكن عند تجاوز هذه الفكرة، ستستمتع بالكثير من الحرية أكثر، مما يتيح لك الفرصة من تطوير أفكارك؛ لبناء مشروعات حياتية أكثر استقراراً، كما يصبح الثلاثيني لا ينتظر إلى من يشير له حول أخطائه، بل أصبح أكثر قدرة على تقبل هذه الأخطاء، والتعلم منها حتى لا يقع بها مجدداً، والعمل على إصلاحها، كما أنه أصبح أكثر حكمة، والتفكير بعقلانية أكثر نحو ترتيب أولوياته، وما يستحق صرف الوقت لأجله، وأنه لا يمكنه الحصول على كل شيء، وتقبل فكرة النقص، وأن هناك المزيد من

الأشياء أكثر أهمية من غيرها، وتترتب على ذلك القدرة على اتخاذ قرارات  
بصور أفضل؛ لأنك تتعلم كل يوم شيئاً جديداً، وعشت المزيد من الأشياء،  
فكل هذا يضيف إلى حكمتك العامة.

وهذا ملخص بسيط حول مشهد عقد الثلاثين إلى أن نخوض حول مشهد  
جديد حول عقد الأربعينات، وبداية سن اليأس، وأزمة منتصف العمر،  
والمراهقة المتأخرة، وكثير مثل هذه المصطلحات التي كثير ما نسمعها  
منذ الصغر حول هذه المرحلة، فلا تستغرب كثيراً حول هذه المسميات،  
فلا كل شيء أطلق عليه مصطلحاً معيناً يبقى هو الحقيقة التي تعبر عن  
داخله، إذا جلبت زجاجة موضوع عليها شريط يوحى للناظر إليها بأنها  
زجاجة خل (حمض الخليك) ووضعت داخله ماءً بدلاً من الخل، وكلاهما  
متشابهان باللون الشفاف، فقلت لك يجب أن تشرب من هذه الزجاجة،  
وكثير ممن قبلك شربوا منها، وجاء الدور عليك وأنت مجبر على أن تشرب  
ما بداخلها ومقتنع اقتناعاً تاماً بأنه حمض الخليك، فعندما تقترب منه،

تشعر بشيء من الخوف، فهذا خل كيف لي أن أشربه وأكون مرتاحًا وبخير؟ إلى أن تفتح الزجاجاة، وتشرب منها، فلا تشعر له لا بطعم، ولا برائحة، فهو شيء عادي جدًا لا نعيش دونه معتادين عليه، فهو مجرد ماء بناء الأرواح، ولا نقدر على العيش من دونه، فتقول اجلب لي المزيد.

فكذلك الحال نحن البشر نأتي بمصطلحات غريبة؛ لنضعها لأنفسنا، وما يزيدنا هذا إلا الخوف، فربما هذه المصطلحات بعضها أُطلق بناءً على حقائق، ولكن هذه الحقائق مثل الماء، ولكن المصطلحات التي حولها شبهتها بأنها كحمض الخليك الحامض. فزاه نتجعز منه!

سألت أحد أقربائي كيف ستكون بك الحال إذا وصلت إلى الأربعين، والخمسين، وعندما تتخيل مظهرك وأنت مشيب، ذو الشعر الأبيض، وكثير التجاعيد، وضعيف النظر، والسمع، والترهل، وتخلخل الأسنان، وما شابه هذه الأشياء الدالة على الكهولة، والشيبة؟ قمت بطرح هذا السؤال بهذه الكلمات، ومتصورًا أنه سينتابه شعور بالعصبية تجاهي، كما رأيت من

الكثير قبل ذلك إلا أن ردة فعله، وجوابه كانا غير ذلك.

فكان رده بقمة القناعة، ولا يوجد توتر، ولا خوف من مثل هذه العلامات، فالحياة مؤقتة، ولم نُخَلَقْ لنعيش بمظهر الشباب طوال العمر، فكانت وجهة نظره حينها إنه يعيش، ولا ينظر إلى العمر، فحياته قائمة على قول أنا أعيش بروحي، ولا أنظر إلى المظهر أو السن، وكل هدفي هو الاستمتاع بالحياة بقدر الإمكان، طالما أنني لم ولن أُغضب خالقي، فشكلي، ومظهري لا يهماني، فالسعادة، والراحة منبعها هو القلب، والرضا بالطبيعة الخلقية.

فقولي لمن هم مولوعون بالمظهر الشبابي خائفي تقدم السن، والكهولة، والشيبة إلى أنهم تمنوا لو أن يحصلوا على مصباح علاء الدين، والطلب من الجني الذي داخله أن يجعلهم شبابًا، ولا يشيخون أبدًا، ولكن ماذا سيحدث إذا اقتنعنا بأن وجودنا على هذه الحياة وجود مؤقت، وأنا لم نُخَلَقْ للعيش بالمظهر الشبابي طوال العمر، ماذا سيحدث إذا ظللنا

عائشين بأرواحنا غير ناظرين لأعمارنا؛ فحقيقة السعادة منبعها القلب، وليست العمر، والمظهر الشبابي، نحن كمثل الزجاجاة التي حدثتك عنها منذ قليل، فأرواحنا عبارة عن الزجاجاة التي بداخلها الماء، والعمر كمثل الورقة الخارجية التي تقول إنها عبارة عن حمض الخليك!.

«من الشمال إلى الجنوب»

أريدك أن تتخيل معي أن أمامك دائرة كبيرة، وتنظر إليها، حاول أن تضع بعينيك نقطة فوق الجزء الشمالي، ونقطة أخرى أسفل الجزء الجنوبي، وتقسم هذه الدائرة نصفين أحدهما من الشمال إلى الجنوب، والآخر من الجنوب إلى الشمال. فعلت ذلك؟ عظيم، هيا نبدأ رحلة لا تتعدى الدقائق، رحلة النصف الأول من الدائرة من الشمال إلى الجنوب.

بدأت الرحلة منذ قدوم الطفل حين ولادته إلى أن يسير قليلاً على النصف الأول من الدائرة إلى أن يصبح ابن الثانية من عمره، وكل شغفه، وأمله، ونجاحه أن يتعلم المشي دون أن يقع على الأرض، كمثل والده، ومن حوله، ومن يراهم، فلا يشعر بالغرابة وهو بينهم، وأنه سيبقى مثلهم يوماً ما، إلى أن يتقدم قليلاً، ويكون ابن الثالثة، ونجاحه، وسعادته هي ألا يتبول على ملابسه، وأن يقدر على الدخول إلى حمام بيتهم وحده، فيسير قليلاً إلى أن يصل إلى الخامسة، وكل ما يهمله هو حفظ الأعداد من واحد

إلى عشرة مع حفظ جدول الضرب حتى يتم قبوله بالمدرسة الابتدائية، وهذا حينها يكون هو قمة النجاح بالنسبة له، ومن حوله، ويستمر السير، ويتقدم قليلاً على الدائرة إلى أن يصل إلى الثامنة من عمره، فيكون أكثر ما يلقي النظر عليه هو معرفة طريق العودة إلى المنزل، ويكون هذا أيضاً هو قمة نجاحه إلى أن يمر بالنقطة الحادية عشرة، ومع تبادل قمم السعادة، والنجاح، والشغف المتجدد، فتكون حينها هذه القمم هي تكوين أكبر عدد من الأصدقاء، والحصول على علاقات مترابطة، وما أقصاها الفرحة إذا رأيت أصدقاء الصف بالمدرسة طريق عودتهم إلى المنزل هو طريقك نفسه.

إلى أن تصل إلى الثامنة عشرة، ونجاحك هو الحصول على رخصة السيارة، والالتحاق بالكلية التي طالما كنت تحلم بها، والتي تبني عليها مستقبلك حتى سن الثالثة والعشرين، والنجاح يتطور إلى أن تكون قد حصلت على الشهادة الجامعية، فتتقدم في الدائرة عامين إلى أن تصل إلى الخامسة والعشرين، وقمة نجاحك هي الحصول على وظيفة راقية، أو عمل محترم

تشعر من خلاله بالوقار حينها، ومكانتك أمام من حولك، ويستمر السير بالنصف الأول من الدائرة إلى أن تصل إلى الثلاثين، وقمة النجاح ما زالت تتطور، فتكون حينها هي تكوين الأسرة المستقرة إلى أن تصل إلى الخامسة والثلاثين، والنصف الأول قد يكون أوشك على الانتهاء، ويتحول نجاحك إلى أن تكون قد قمت بادخار الكثير من الأموال حينها، وتأمين أسرتك، وبناء مستقبلهم، فتسير قليلاً إلى أن تصل إلى الأربعين، وقمة نجاحك المتطورة تكون على حد قدرة احتفاظ الرجل بالمظهر الشبabi حينها، وتكون قد اكتملت رحلة النصف الأول.

أليس من القاسي أن الطفل الذي كان أقصى ما يهمله حفظ طريق العودة إلى المنزل، وإدخال كراسة الرسم ذات الحجم الكبير إلى الحقيبة دون تطبيقها، والشاب البريء الذي كان يقف خلف الكواليس خائفاً منتظراً شيئاً ما يحدث هو نفسه ذات الرجل الذي وقف ينظر إلى مرآة أمامه، ويُحدّث نفسه عن كيفية الاحتفاظ بمظهره الشبabi. يظل السؤال لما إذا لما إذا؟

وما زلنا واقفين منتظري حدوث شيئاً ما لا نعرفه، ولا نعرف أنخافه أم نبتسم؛ لأنه قادم؟

أرجوك لا تنتظر مثلهم، وانظر إلى من ينظر إلى زجاجة الخل التي بداخلها المياه. انظر إلى روحك، ولا تنظر إلى عمرك، الروح هي من ستظل باقية حتى بعد فناء وجودنا

#نهاية \_ النصف \_ الأول \_ من \_ الدائرة

توقفت نهاية النصف الأول من الدائرة عند الأربعين، ولكن ما زالت هناك تكملة. بداية جديدة لا بد سنبدؤها من جديد، ولكن لم العجلة؟! دعونا نتحدث قليلاً عن عقد الأربعين!

أما الرجال، فإن الأربعين أحب إليهم بكثير من الثلاثينات عكس الكثير من النساء، فالأحب إليهم الثلاثون أكثر، وبالطبع، نحن على اتفاق بأن هناك نوعاً آخر لا يهتم لا بهذا، ولا ذاك، ومتفقي أنه يعيش بروحه، ولا تهمه مثل هذه الأشياء، ولكن على الأرجح إذا سألته، واضطرته للإجابة

عن أكثر العقود التي أحبها بنسبة كبيرة، سيقول عقد الأربعين، وكذلك النساء فبنسبة كبيرة ستقول عقد الثلاثين. فأما عن الرجال، فتكون هذه المرحلة مصحوبة لديهم بالكثير من تجارب العشرينات، ومصاحبة حكمة الثلاثين، فيصحبها تحول كبير بالأفكار، والسلوكيات والتي قد تكون مكتمنة عن خبرته خلال الثلاثة عقود الماضين، فتستطيع بكل تأكيد أن تقول إن هذه الفترة هي قمة نضوج الرجل، بمعنى أنه يكون قد تم نضج العقل بنسبة مائة بالمائة.

- لحظة من فضلك، أهذا العقل لم يكتمل حتى سن الأربعين، وأنه ما زال كان ينضج؟

نعم يا صديقي هو كذلك. أتعلم قول الله - تعالى - « حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِيَّيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » أوحى لنا القرآن الكريم في كثير من الآيات أن بلوغ الرجل سن

الأربعين قد يكون اكتمل نضجه، وعقله بنسبة المائة بالمائة، وبداية تفكره، وتأمله في السعي الدائم الذي طالما ما كان يسعى إليه طوال الثلاثة عقود الماضين. لم يخفق إلا بمراجعة حساباته، أو أنه رأى الكثير منها كانت دون جدوى من قرارات خاطئة، وأفعال، وقرارات أخرى لم يكن راضيًا عنها، ولم تكن من المفترض أن تحدث. فبناءً على هذه التجارب، نجده دائماً في نوع من الاتزان، والهدوء، وبناء قراراته القادمة بصور أكثر اتزاناً

دعني أؤكد لك هذا بطريقة أخرى من الحقائق العلمية الحديثة التي أكدها العلم الحديث، وعدة علماء من الإعجاز القرآني ما أثبتته بحث علمي جديد كانت نتائجه أن الدماغ البشري يستمر في النمو، والنضج حتى بلوغ سن الأربعين، خاصة منطقة «الناصية» وهي أعلى مقدمة الدماغ، وكان منذ قرابة عشر سنوات إنه كان يُرى أن نمو الدماغ يتوقف في سن مبكر من عمر الإنسان، وقد قيل إنه سن العشرين، ولكن تجارب مسح الرنين المغناطيسي التي أجراها الكثير من العلماء على الدماغ أثبتت أن الدماغ يستمر بالنضج خلال أواخر الثلاثينات إلى نهاية سن الأربعين من عمر الإنسان، وأهم

منطقة، وأكثرها استقرارًا في النمو هي منطقة الناصية، وهي أهم المناطق التي من خلالها يتم اتخاذ الإجراءات المهمة، والتفاعلات الاجتماعية، وبعض السلوكيات، والتخطيطات الأخرى. وما زلت لم أبعد النظر عن الأربعين خاصة خلال المجتمع الحالي الذي نعيش فيه، وما رأيت به بنسبة كبيرة ممن كسروا حاجز الأربعين، أو أوشكوا عليه، إنهم أصبحوا أكثر استقرارًا سواء من الناحية الأسرية، أو الوظيفية، أو حتى من كان يعمل بالأعمال الحرة الصغيرة، فمع مرور السنوات، وادخار المزيد من الأموال أصبح من خلاله مؤسس عمله الخاص، كما لا بد وأنه اكتسب قدرًا كافيًا من الخبرة، والتعلم لبدء مرحلة عمرية جديدة، يقدر من خلالها اكتسابها في توفير احتياجات أسرته، وهموم مجتمعه بناءً على تحول الأفكار، والسلوكيات، والتصرفات السلبية القديمة، بما يعمل على اتخاذ أفضل شكل ممكن من شخصيته، ومحافظته، وحسابه على كل خطوة يخطوها، فهو يعلم إلى أي مدى من الممكن أن تصل به خطوة هذه الخطوات سواء من الناحية الاجتماعية أو غيرها، ولقد ثبت من خلال تجارب كثيرة أجراها علم النفس الاجتماعي

أنه بنسبة كبيرة يكون هناك تغير للأفضل لمن هم كسروا حاجز الأربعين،  
أو أوشكوا عليه، فإذا نظرت إلى بعض الذي تعرفهم في هذا العمر، ستجد  
أنهم أصبحوا أسوياء بدرجة كبيرة، بعدما كانوا يعيشون بكثير من تخبطات  
اللاوعي، واللامبالاة.

«الصندوق الأسود»

كثير ما في حياتنا تقابلنا الكثير من المشكلات، بعضها يكون مهمًا، ولا يحتاج إلى التأخير، فنعمل على حل تلك المشكلة بأسرع وقت ممكن، وبعضها الآخر بكل أسف من الممكن أن نتخلى عنه، أو نتركه تحت مسمى أنها مجرد مشكلة صغيرة لن تسبب أية سلبية، هذا إن كان بالاعتبار أن هناك مشكلة صغيرة، وبخلاف أن المشكلات الصغيرة تسبب الكثير من المشكلات الكبيرة فيما بعد، إلا أن ما أريد قوله حاليًا إن هذه المشكلات التي نتخلى عنها ستتحول يومًا ما إلى مطاردة، ولكن كيف؟

بكل بساطة عقلك الباطن لن ينسى مع الوقت تلك المشكلات، ولا يحب التخلي عنها بمعنى أنه يقوم بدور الصندوق الأسود القديم الذي إن كنت ليس بحاجة إلى صورة، أو أي شيء ما آخر، فتقوم بتخزينها به، ولكن عقلك الباطن حينها سواء أكنت بحاجة لها أم لا فإنه يقوم بتخزين تلك المشكلات إن لم تتخلص منها، منتظرًا إلى أنه يُخرج تلك المشكلات

بالوقت الذي ليس من المفترض أن تخرج فيه، أو حتى من الممكن في وقت فراغك، ويقوم بتحويلها إلى مشكلة كبيرة حينها، وتؤثر فيك بالسلب، وتسبب لك الكثير من الضغوطات؛

لم أكن أتفاجأ، عندما كان يقول لي البعض متحدثاً عن نفسه إنه يتذكر مواقف قائمة على مسافة عشر سنوات تُسبب له الكثير من العصبية، والتوتر حالياً، كنت أتصفح ذات يوم أحد مواقع التواصل الاجتماعي، وجدت صديق ثانوي يحكي أنه عند مذاكرته، وتركيزه يقوم بتذكر مواقف ابتدائي معه في حين الوقت الذي لا يريد أن يفكر فيه سوى بمستقبله فقط، ويتعصب بسبب المواقف الحادثة بينه، وبين أصدقائه حينها. هذه هي إحدى وظائف العقل الباطن، فتلك المشكلات التي لم تقم بالتخلص منها تتحول في الدماغ سلة المحذوفات، بمعنى أنك إذا قمت بحذف شيء ما، فإنه يتحول إلى سلة المحذوفات، وبإمكانك أن ترجع له مرة أخرى.

- ولكن ما الذي تريد قوله وهذا ما دخله بنهاية نصف الدائرة الأولى؟ هناك

علاقة مترابطة جدًا بين ذاك الصندوق القديم، أو سلة المحذوفات، وبين نقطة الجنوب أو ما تسمى نهاية النصف الأول من الدائرة. بمعنى أن هذه المواقف، أو تلك المشكلات تأثيرها يظهر بنسبة كبيرة جدًا بمراحل العمر المختلفة، وأكثر المراحل تأثيرًا تكون مرحلة الأربعينات، ولكن كيف؟

أتذكر عندما كنا نتحدث عن أنواع المراهقة؟ أتذكر أول نوع وهو المراهقة السوية؟ هناك من يمر بالأربعينات، وبقية المراحل بطرق سوية جدًا، وبقمة النضوج، وهناك من يأتي الأربعينات بنوع آخر من المراهقة، ويسمى المراهقة المتأخرة!

تأتي في أحيان كثيرة عند البعض تجعلهم يتصرفون بطرق كثيرة مختلفة تعكس الشخصية التي كنا كثيرًا ما نشاهدها، ونعجب بها، وأحد أسبابها هو ذاك الصندوق الذي يُخرج ما به بتلك المرحلة، وهذا الصندوق يكون محتويًا على الكثير من مواقف الطفولة، ومشكلاتها، والعديد من مشكلات المراهقة الأولى التي ما زال محتفظًا بها، ولم يتخل عنها. ولكن لماذا يقوم

بالخروج في هذا الوقت تحديداً مكوناً مما يسمى المراهقة المتأخرة؟

مع بداية تحول الشعر إلى اللون الأبيض، وبداية ظهور الكثير من علامات الشيب كضعف النظر، أو السمع، وتخلخل الأسنان، وكثرة التجاعيد، وتضخم القدمين، وطول الأذن، والعديد من مؤشرات الكهولة الأخرى التي يبدأ بعدها الرجل بفقد نظارته، وحيوية الشباب المصاحبة له، مع بدء ظهور أعراض مرض الضغط، أو أي مرض آخر كالسكر الذي تضلل الكثير من تصرفاته، ومزاجه؛ ولم تقتصر على هذه الأسباب الفسيولوجية فقط، بل أيضاً هناك أسباب اجتماعية أخرى من الضروري معرفتها. فالرجل يكون في هذا العمر مُعَرَّضاً لفقد الكثير من الأشخاص الذين يشكلون له جانب تفرغياً مهماً بنسبة كبيرة، إضافة إلى فقدان الوالدين، أو أحدهما، وفقد بعض الأصدقاء، والمعارف القريبين من قلبه، والذين قد عاش بينهم زمناً طويلاً ثم فرقهم الموت، أو السفر، وكذلك الأبناء الذين أصبحوا في عمر الشباب، وباعد بينهم الانشغالات بالدراسة، أو العمل، أو الزواج، والاستقلال بحياة جديدة، أو إن كانوا جالسين معاً، فهذا المجلس أيضاً

يكون قائماً بالانشغال بأجهزة التواصل الاجتماعي التي ألغت أهمية تلك الجلسات الأسرية، والاجتماعات الأسرية التي يقوم عليها الترابط بين أفراد الأسرة بنسبة كبيرة، والتي يجد الوالدين أهميتها في أجواء نقاشتها، وروح المرح، والبهجة التي تدور في فلكها، والتي يريدون من خلالها التماس ثمرة ما حصدهم من وجودهم خلال تربيتهم السنوات الماضية. في حين هذه الأسباب، وتأثيراتها قد تجد البعض ممن يكسرون حاجز الأربعين، أفكارهم تتحول إلى درجة كبيرة بطريقة جذرية، ويظهر هذا التحول بطريقة كبيرة، وواضحة عليهم نحو الاهتمام المتزايد بمظهره، وارتداء ملابس قد لا تتناسب مع سنه، وذوقه السابق، وعادات مجتمعه، ولربما تجدهم يقضون أوقاتاً كثيرة في التعطر، والتأنق بما لم يعهد عليهم من قبل، ومن خلال هذا التحول، ونتائجه أيضاً قد تجدهم أكثر انعزالاً عن البيئة الأسرية، وقضاء أوقات طويلة في المكالمات الهاتفية الغامضة، أو الجلوس طويلاً حول مواقع التواصل الاجتماعي، وحبه المفاجئ كثيراً للخروج من المنزل، وعدم الاهتمام بمسؤولياته المنزلية، أو العملية. كما

تري كثرة انتقاده لزوجته لطريقة ملابسها، أو لملل حديثه، أو عدم التفرغ له، ولمراعاة متطلباته، واحتياجه، وربما تجده أكثر انفعالاً دون مبررات للتخلص من كثرة اللوم ممن حوله التي هي مبنية على تلك التصرفات.

وحينها يظهر التأفف من كل شيء، ويسخط على تاريخه، ويشعر بعدم الإنجاز في أي شيء مضى في محيط العمل، أو الأسرة؛ فتجده كثيراً ما يكرر عبارة إنه فاشل أو غير سعيد في حياته العملية، أو إنه لم يحقق لا طموحاته، ولا آماله التي طالما كان يسعى لأجل الوصول إليها، ويقترن ذلك مع شعوره، وردة فعل سلبية، وتجد ذلك يحدث فجأة، ودون أية مقدمات. فمن الممكن أن نستخدم بعض الطرق الممكنة لحل مثل هذه المشكلات، وجذب هذا الشخص مرة أخرى، ومنها البعض من أساليب التعامل مع المراهق خلال عمر الرابعة عشرة وما فوق، وقتل الشعور بالفراغ الذي يحاوطه مع تقدم السن، وقلة انشغاله، والتقارب الأسري، والتخلص من الصندوق القديم الذي طالما أشبهه بالصندوق الأسود، فأشعر أنه ملئ بسواد المشكلات، والذكريات التي تأثيرها بنسبة تسعين بالمائة يكون سلبياً، ومراجعة ما كان يحبه، وتركها خلال الأعوام السابقة.

«حب مشكلاتك»

ليس شرطاً حالياً أن تكون هذه الأحاديث موجهة لمن هم في سن الأربعين، بل وأنها لجميع المراحل أيضاً، وما أطلبه منك حالياً هو أن تحب مشكلاتك!

- نعم، أتقصد حل مشكلاتك؟

لا، هذا ليس ما أقصده، بل ما أقصده هو أن تحب مشكلاتك، مهما كانت، ومهما كان حجمها.

أنت بالكاد جننت، أهنأك أحد يحب المشكلات؟

أنت مُحِقُّ أنا بالفعل مجنون، وأعترف بذلك، وسعيد بذلك جداً، ولكن لِمِ العجلة؟ دعنا نتحاور قليلاً وراء هذا الموضوع.

بعض المشكلات إن لم يكن معظمها نحن بحاجة إلى أن نحبها، لنكن قادرين على التغلب عليها بطرق أسرع، وأفضل.

— إذًا، لماذا سوف أريدها أن تختفي طالما كنت أحبها؟

ببساطة لأنها ستظل عائقًا طوال الطريق، إن أحببتها، ولم تتغلب عليها، وهناك أيضًا مشكلات مُلازمة لديك، فلا بد وأن تحبها؛ لتقدر على الاستقرار فيما بعد حتى لا تُسبب لك أزمة مع تقدم العمر مثل أزمت الأربعين، أو غيرها.

- ولكن ما الفرق بين أن أصبر عليها كما أمرني ربي، وأن أحبها؟

الصبر مطلوب على جميع الابتلاءات، والمشكلات، ويجب الرضا بما أنت عليه، وعلى كل حال، ولكن كما قلت لك لكي تقدر على التغلب عليها بصور أسرع، وأفضل، يجب أن تحبها، وإن كانت مشكلة ملازمة، فلا بد وأن تحبها حتى تقدر على الاستقرار فيما بعد.

- ولكن أحدهم قال لي إن كل مشكلة ولها حل أتوجد مشكلات ملازمة؟

نعم هناك مشكلات ملازمة. كمثال مرض السكري، فالطب إلى الآن لم يتوصل إلى طريقة يتم بها زرع عضو

البنكرياس في جسد المريض؛ ليتم إفراز الأنسولين بطريقة طبيعية، فالمرضى يظل يأخذ في جرعات طوال عمره.

هذه المشكلة المرضية وجدت من حزن كثيراً؛ لأنه سيعيش بقية عمره تحت ألم فقد الأنسولين، ولكني وجدت من تقبل الأمر، وسعد فيما بعد به فلم الحزن؟

هذا المرض جعلني أهتم بصحتي، وبجسدي بطرق أفضل مما كنت عليها من قبل، أصبحت أذهب إلى صالة التمرين، وأحافظ على نظام غذائي بطرق صحية، وجيدة، وأني سعيد بذلك الآن.

- انتظر قليلاً!

- مشكلتي الصحية التي لم تكن بالحسبان، وستسبب لي المشكلات الأخرى، والتعطيل، أتريد مني أن أحبها؟

- امرأتي التي حملت بعد تسع سنوات من زواجنا، ولم يقدر أن يأتي الطفل، ومات في رحمها، أتريد أن أحبها؟

- الكلية التي كنت أحبها، وأتعب، وأجتهد لأجلها، وقمت ببناء مستقبلي عليها بناءً على أن ألتحق بها، ولكن لم يقدر لي أن أحبها، أتريد أن أفرح، وأحب ذلك؟

- الفتاة التي أحببتها، وحلمت بالعيش معها، وأفكر بها ليل نهار تزوجت غيري، وتقول لي حب مشكلاتك؟

نعم، ما زلت أكرر، وأقول لك حب مشكلاتك أيًا كان نوعها، وأي كان ما تكون.

هذه المشكلة الصحية جعلتك تترك أشياء كثيرة ربما كنت تتمنى أن تتركها؛ لأنها كانت مسببة لك الكثير من المشكلات الأخرى، وأنت لم تقدر على تركها، جعلتك تتقرب من ربك أكثر، وتصحح الكثير من المسارات الخاطئة التي كنت عليها، جعلتك تعرف قيمة هذه الحياة أكثر، ولم تضعها

هدراً كما كنت تفعل من قبل، أتتذكر عندما ذهبت إلى المشفى لإجراءات

الفحوصات؟

كم لقيت من الحالات هناك وكدت أن تبكي من هول المشهد من حولك؟

ولدك الذي تمنيته طوال عمرك أن يولد، ولم يقدر ذلك

أتعلم كم ستكون مهموماً مُنْهَكًا إذا وُلِدَ معاقاً أو به شيء ما لا تقدر على

أن تراه به، أتتخيل كم سيكون حزنك حينها؟

الكلية التي لم تدخلها أو حلمت ببناء مستقبلك، وطموحاتك عليها، كم

ستسبب لك الكثير من المشكلات، والاكْتئاب، فهل ستعلم أنك ستوفق

بها أم لا ولم لا تحب مجالك الحالي، وتحقق شيئاً عظيماً به، أتتذكر

الشاب الذي كان ملتحقاً بكلية الهندسة، ولكنه انتحر من أعلى برج القاهرة؛

لأنه لم يشعر بأنه موفق بهذه الكلية التي طالما أيضاً كان يحلم بها،

وقائم ببناء مستقبله بها؟

أتعلم أن غيرك كان أقصى ما يحلم به هو أن يمر من داخل باب المدرسة فقط؟

الفتاة التي طالما كنت تحلم بها ليل نهار، أتعلم كيف ستكون حالك، عندما تتزوجها؟

ترى ستصونك، وتصون عرضك؟

ستجعلك تبر والديك؟ أو كم من المشكلات التي ستكون بينكما بسببها؟

أتصون أطفالك فيما بعد؟

حاول أن تفكر قليلاً بكل مشكلة، وحاول أن ترى الجانب الإيجابي بها، وإن لم تستطع حلها، فأنت تحبها.

«سيارتي لا تحب الفانيليا»

ليست كل الأشياء تعبر عما بداخلها، وليس كل من نراه

عاقلاً هو عاقل، وليس كل ما يبدو مجنوناً، فهو مجنون، ومن الممكن أن يكون في قمة الرشد.

وصاحب الشكوى الذي قد كان يبدو مجنوناً، ليس بالضروري أن يكون كذلك.

هذه القصة حقيقية حدثت بين زبون، وشركة جنرال موتورز، والمدير التنفيذي، وهذه الشكوى وصلت عن طريق قسم موتورز، قائلاً صاحب الشكوى: «هذه المرة الثانية التي أكتب لكم فيها، وأنا لا ألومكم على عدم الرد

علي؛ لأنني أبدو مجنوناً، ولكنها الحقيقة. والقصة هي أنه

لدينا تقليد أسري بتناول الكريماثلجة بعد العشاء، ولكن أنواع الكريمة

المثلجة تختلف؛ لذلك فنحن نقوم بالتصويت لاختيار النوع المطلوب،

وعادة أذهب أنا إلى المحل التجاري؛ للحصول عليه.

وحقيقة أيضاً أنني اشتريت سيارة بونيتاك جديدة، ومنذ

ذلك الوقت، أصبحت رحلتي إلى المحل التجاري مشكلة.

ففي كل مرة أقوم بشراء مثلجات بنكهة الفانيليا، أجد أن

سيارتي لا تعمل، ولو أنني اخترت نوعاً آخر من المثلجات،

فسيارتي تعمل حينها بشكل جيد!

أريدكم أن تعلموا أنني جدي في هذا السؤال، رغم أنه يبدو سخيلاً،

ولكن ما مشكلة البونيتاك مع نكهة الفانيليا؟

سارع المدير بإرسال مهندس للتحقق من الأمر، رغم شكه

بموضوع الشكوى، فتفاجأ المهندس بترحيب رجل مثقف،

وناجح في منطقة سكنية جيدة، واتفقا على الذهاب معًا

بعد العشاء لشراء الكريمة المثلجة، وحدث ما كان متوقعًا،

فلم تعمل السيارة عند العودة.

أعاد المهندس الكرة ثلاث ليالٍ؛ وفي الليلة الأولى حصلوا على نكهة الفراولة،

وعملت السيارة جيدًا.

وفي الليلة الثانية، حصلوا على نكهة الشكولاتة، وعملت أيضًا، وفي الليلة

الثالثة، حصلوا على نكهة الفانيليا، فلم تعمل السيارة!

ولكن المهندس كان رجلًا منطقيًا، فرفض تصديق أن السيارة تتحسس من

نكهة الفانيليا، ولذلك لا تعمل!

فتدبر الأمر على أن يكرر الزيارات، مهما أخذ ذلك من الوقت لإيجاد لغز

هذه المسألة.

وبدأ يكتب ملاحظاته حول الوقت، ونوع البنزين المستخدم، ووقت

الذهاب، والعودة، وكل هذه الأشياء، وفي مدة قصيرة، حصل على مفتاح

اللغز، وهو أن الرجل

يأخذ وقتاً أقصر في شراء الفانيليا، بينما بقية النكهات تأخذ وقتاً أطول.

والسبب هو أن نكهة الفانيليا مشهورة، ومطلوبة جداً؛ لذلك يضعها المحل

التجاري في الأمام من المخزن لسهولة أخذها من قبل الزبائن، بينما بقية

النكهات توضع في الخلف من المخزن التجاري مما يأخذ وقتاً أطول في

عملية شرائها.

السؤال المحير هو لماذا لا تعمل السيارة في الوقت القصير بعد شراء

الفانيليا.؟

كان جواب المهندس سريعاً، وبسيطاً وهو أن قفل البخار في الوقت الذي

كان يأخذه في عملية الشراء كان يدع وقتاً كافياً للمحرك حتى يبرد، فيعود

للبدء من جديد، بينما بعد شراء الفانيليا في الوقت الأقصر يكون المحرك

ما زال حارًا، فلا يتبدد البخار، فيحدث قفل للسيارة!

حتى المشكلات التي تبدو من الخارج كبيرة أو مجنونة في أحيان كثيرة، إذا نظرت إلى محتواها، وعمقها، ستجد أنها عبارة عن لغز بسيط جدًا، فقط يتطلب منك التفكير به بهدوء، وعمق.

«النصف الثاني من الدائرة»

نصف الدائرة الثاني وما هو إلا انعكاس لنصف الدائرة الأول، بمعنى أننا قد بدأنا النصف الأول على هيئة أنه من

من الشمال إلى الجنوب، ولكننا هذه المرة سننهي ما تبقى من مشاهد، وعروض من الجنوب إلى الشمال بانعكاس طريقة عرض المشاهد، وبطرق عكسية.!

- انعكاس ماذا؟ أريد توضيح أكثر.!

نعم هيا بنا لنرى.

بدأنا النصف الأول بحياة متقلبة، وواجهنا الكثير من الاتجاهات، والطرق المختلفة، وعروض كثيرة، ومواجهات أكثر، ونهايات مختلفة إلى أن نأتي إلى تكملة ما تبقى من الدائرة

الرجل الذي كان يحاول أن يحافظ على مظهره، الشباب قد تطور به

الهدف، والطموح إلى أن وصل إلى نهاية الأربعين، ويريد أن يحصد ثمرة تربيته لأبنائه.

إلى أنه يكسر حاجز الخمسينات؛ ليتطور هدفه، ويكون نجاحه إنه ما زال قادرًا على أداء واجباته الزوجية، والأسرية؛ ليجتاز الستين من عمره، وما يريد أن يظل محتفظًا برخصة السيارة التي طالما كان يسعى لأجله وهو في الثامنة عشرة من عمره، فيتقدم العمر، والسير على الدائرة إلى أن يكون نجاحه حين هذا الوقت هو الحفاظ على صحته، وأن يعيش دون أمراض، فيتقدم به العمر، ويكسر حاجز السبعين،

والنجاح، والهدف، والطموح يتلخص في أنه لا يريد أن يشعر بأن وجوده لمن حوله أصبح عالة، الطفل الذي كان

يجري سريعًا، ولا يهتم إلى الطريق حوله، الطفل الذي كان يجري مبتسمًا ضاحكًا، همه هو حفظ طريق العودة إلى المنزل، وأن يحاول اجتياز المرور، وأن يحفظ اسمه كاملاً،

الآن أصبح كل هدفه ألا يُشعر من حوله أن وجوده عالة عليهم.

أليس ذلك قاسيًا جدًا؟

أيوجد مشهد مُحزن أكثر من هذا

أم أن العرض أوشك على الانتهاء؟

ترى كيف ستكون النهاية سعيدة أم حزينة؟

الدائرة لم تنتهِ، وما زال هناك بها فراغ هناك ما زال سير إلى أن نصل إلى منتصف السبعينات إلى أن أصبح هدفه هو أن يكون ما زال لديه أصدقاء في هذا العمر.

حتى أن يكسر حاجز الثمانين، فيتحول هدفه إلى أن يعرف طريق العودة إلى المنزل، فيتقدم قليلاً إلى أن تكون قمة نجاحه بألا يتبول على ملابسه!.

هذه الدائرة عبارة عن عروض قد حدثت في حياة الكثيرين، والنهاية لم تأت بعد، ودور البطولة لن ينتهي.

إذا أهتمت الدائرة، فما زال هناك الكثير من الوقت الطويل. أريدك فقط أن تعيش بروحك، ولا تنظر إلى الرقم

الذي يوجد عليه، ولا تنسَ أبدًا الزجاجة التي يُطَلَق عليها الخل.

هيا لنطلع على ملخص جميل نجده في إحدى القصص القديمة. من القصص المشهورة نسبيًا والتي أحد مسمياتها. «التاجر الغني الذي لديه أربع زوجات».

كان هذا التاجر يُحكى أنه يحب زوجته الرابعة كثيرًا، ويجلب لها أفخر الثياب، ويعاملها بمنتهى الرقة، ويعتني بها عناية كبيرة، ولا يقدم لها إلا الأفضل في كل شيء.

كما أنه يحب زوجته الثالثة جدًا أيضًا، وكان فخورًا بها، ويجب أن يتباها

بها أمام أصدقائه، وكان يحب أن يريها لهم، ولكنه كان يخشى أن تتركه، وتذهب إلى رجل آخر.

وكان يحب زوجته الثانية أيضًا، فقد كانت شخصية محترمة، ودائمًا صبور، وفي الحقيقة كانت محل ثقة التاجر، وعندما كان تواجهه المشكلات، كان يلجأ إليها دائمًا،

وكانت هي من تساعده على عبور المشكلات، والأوقات العصيبة.

أما الزوجة الأولى، فمع أنها كانت شريكًا شديد الإخلاص

له، وكان لها دور كبير في المحافظة على ثروته، وعلى أعماله، علاوة على ذلك اهتمامها معها بالشؤون المنزلية، ومع ذلك لم يكن التاجر يحبها كثيرًا، مع أنها كانت تحبه بعمق، إلا أنه لم يكن يلاحظها، أو يهتم بها، وتمر الأيام هكذا.

وفي أحد الأيام، مرض التاجر، ولم يمضِ وقت طويل، حتى أدرك أنه لم

يتبقّ له الكثير على مفارقة الحياة، ففكر التاجر في حياته المترفة وقال لنفسه: الآن أنا لي أربع زوجات معي، ولكن عند موتي، سأكون وحيدًا، وكم ستكون وحدتي شديدة.؟

وهكذا سأل زوجته الرابعة وقال لها: «أنا أحببتك أكثر منهن جميعًا، ووهبتك أجمل الثياب، وغمرتك بعناية فائقة، والآن أنا سأموت.

فهل تتبعيني، وتنقذيني من الوحدة.؟

- أجابت الزوجة «مستحيل وغير ممكن، ولا فائدة من المحاولة، ومشيت بعيدًا عنه دون أية كلمة، أو أي اهتمام، وكادت إجابتها أن تمزق قلب التاجر المسكين.

فسأل التاجر الحزين زوجته الثالثة فقال لها: «أنا أحببتك

كثيرًا جدًا طوال حياتي، والآن أنا في طريقي إلى الموت. فهل تتبعيني؟

- أجابت الزوجة الثالثة: بالطبع لا، ثم أردفت قائلة: الحياة هنا جميلة جداً، وسأتزوج رجلاً آخر بدلاً منك عند موتك.

غاص قلب التاجر عند سماعه تلك الإجابة، وكاد يجمد من البرودة التي سارت في أوصاله.

ثم سأل زوجته الثانية وقال لها: «أنا دائماً لجأت إليك من

أجل المعونة، وأنتِ أعنتيني، وساعدتيني دائماً، والآن ها أنا أحتاج إلى معونتك مرة أخرى، فهل تتبعيني عندما أموت؟

- فأجابته قائلة: أنا آسفة، فهذه المرة لن أقدر على أن أساعدك، ثم أردفت قائلة: إن أقصى ما أقدر على تقديمه

إليك هو أن أشيعك حتى القبر!

انقضت عليها إجابتها كالصاعقة حتى أنها عصفت به تماماً.

وعندئذ جاء صوت قائلاً: «أنا سأتبعك يا حبيبي، وسأغادر

هذه الحياة معك إلى أي مكان ستذهب إليه أي ما كان هو، فسأكون معك إلى الأبد».

نظر الزوج حوله يبحث عن مصدر الصوت، وإذا بها زوجته الأولى التي نحلت عنه تمامًا كما لو كانت تعاني المجاعة، وسوء التغذية!.

قال التاجر وهو ممتلئ بالحزن، واللوعة، كان ينبغي لي أن أعتني بكِ أفضل مما فعلت، حينما كنت أستطيع!.

## «وفي الحقيقة، كلنا لدينا الأربع زوجات».

الزوجة الرابعة هي عبارة عن أجسادنا التي مهما أسرفنا في الوقت، والجهد، والمال في الاهتمام بها، وجعل مظهرها جميل، فإنها ستأتي عليها اليوم، وتتركنا.

أما عن الزوجة الثالثة، فإنها تعبر عن ممتلكاتنا، وأموالنا، ومنزلتنا التي سنتركها أيضًا لا محالة، وستذهب في الآخر لغيرنا.

وأما عن الزوجة الثانية، فهي تعبر عن أسرتنا، وأصدقائنا، فهم مهما كانوا قريبين منا جدًّا، ونحن أحياء، فإن أقصى ما يستطيعون فعله هو مرافقتنا إلى القبر فقط.!

أما عن الزوجة الأولى، فهي في الحقيقة حياتنا الروحية، وعلاقتنا مع الله التي غالبًا ما تهمل، ونحن نهتم، ونسعى وراء الماديات، والثروات، والأمور الأخرى، ولكنها في الحقيقة أعمالنا هي الوحيدة التي ستتبعنا حيثما كنا.

فالحياة قصيرة جدًا جدًا؛ لذلك حاول دائمًا أن تُملئها بما هو مفيد.

أكررها بطريقة ثانية وهي الحياة قصيرة جدًا جدًا؛ لذلك املأ وقتك بما  
ينفع آخرتك، ودنياك.

الحياة قصيرة جدًا جدًا؛ لذلك حاول أن تُسعد نفسك بكل دقيقة، وكل  
ثانية، فلا يوجد شيء بها يستحق أن ينتابك واحد بالمائة حزن لأجله.

املأها بالتفاؤل، والأمل، وابحث عما تحبه، وما ينفحك، واعمل لأجله، ولا  
تهتم بنظرة من هم حولك سواء أكانت كبيرة أم صغيرة تلك النظرة.

الحزن، والاكتئاب، والمشكلات، والهموم كلها عامة تشبه السجن، أو  
القفس المغلق بقفل وأنت محبوس بداخله، ومفتاح هذا القفل معلق  
برقبتك، أنت المتحكم فيه.

امسك المفتاح، وافتح القفل، وحرر نفسك، وانظر إلى ذاتك،

وتذكر دائمًا أنك المتحكم الوحيد في عقلك، وطريقة تفكيره.

إلى هنا يا صديقي فأريدك أن تعلم أنني أحبك،

وأن النهاية لم تأتِ بعد!

وأن ما زال هناك جزء ثانٍ.

## الفهرس

|    |                                 |
|----|---------------------------------|
| ٥  | اهداء                           |
| ٦  | مقدمة                           |
| ٧  | خطوة وراء خطوة                  |
| ١٥ | مراهقة                          |
| ٢٢ | حب مراهقة                       |
| ٢٨ | علم النفس وحب المراهقة          |
| ٣١ | الحب في الاسلام                 |
| ٣٣ | التعامل مع المراهقين في الاسلام |

- ٤٢ من خلف الكواليس
- ٤٧ بداية عرض جديد
- ٥٩ اراك مازلت هنا
- ٦٥ عش بروحك
- ٧٣ من الشمال إلي الجنوب
- ٨٢ الصندوق الأسود
- ٨٩ حب مشكلاتك
- ٩٦ سيارتي لا تحب الفانيليا
- ١٠٢ النصف الثاني من الدائرة







كم لديك من السطور الجميلة التي اخذت  
منك الكثير من الجهود والاعتناء  
لكى تكون افضل ما يمكن  
لكى تعبر بها عن شعور داخلى  
لم تستطيع ان تشاركه مع احد غيرك  
مهما كانت سطورك  
قصص .. روايات .. اشعار .. مقالات  
باللغة  
العربية او الإنجليزية او الفرنسية

تواصل معنا لتشارك سطورك مع العالم

